يواقيت التاج الوهاج
في
قصة الإسراء والمعراج

تأليف الإمام الحافظ المربي

أبي الهدى محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني الحسني

١٣١٩هـ - ١٣٨٤هـ



تحقيق وتجلية الإمامين الفاضلين

عبد الرحمن بن محمد الباقر الكتاني

و

محمد بن محمد الباقر الكتاني

باعتناء وتقديم

الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني



يواقيت التاج الوهاج

في

قصة الإسراء والمعراج

تأليف الإمام الحافظ المزني

أبي الهدى محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني الحسني

١٣١٩هـ - ١٣٨٤هـ

تحقيق نجليه الإمامين الفاضلين

عبد الرحمن بن محمد الباقر الكتاني و محمد بن محمد الباقر الكتاني

باعتناء وتقديم

الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-4488-X


http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

كتابٌ حكى في الحُسْنِ درًّا جواهرا

ويـاقـوتًـا إكـلـيـلاً زمـرّدًا بـاهـرا

أصـوغـه فـي الإسـراء تـنـويـهًا بـالـذي

أتـانـا بـمـعـراج الـسـعـادة نـاضـرا

لـه الـعـزُّ فـي الـداريـن أبـغـي مُـنـاي مـن

كـثـيـر رضـاه فـائـزًا ومُـفـاخـرا

المؤلِّف



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه

تقـــــديم

بقلم المعتني

الحمد لله وحده، وصلّى الله وسلّم على سيِّدنا محمد وآله وصحبه؛ وبعد:

فيسرّني أن أُقدِّم للقرّاء كتاب «يواقيت التاج الوهّاج في قصة الإسراء والمعراج»، من تأليف جدّ والدتي الإمام الحافظ المسند، المربّي المُرشِد أبي الهدى محمد الباقر ابن الإمام الشهيد أبي الفيض محمد بن جبل السُّنَّة والدين وأبي المكارم عبد الكبير الكتاني الإدريسي الحسني، وتحقيق نَجْلَيه: جدّنا علاَّمة المغرب عبد الرحمٰن بن محمد الباقر الكتاني (ت: 1401)، وعمّ والدتنا العالِم المربِّي العارِف محمد بن محمد الباقر الكتاني (ت: 1416).

يتعرّض هذا الكتاب إلى ذكر قصة الإسراء والمعراج التي تُعَدُّ من معجزات النبي ﷺ، في إطار ما اعتاده علماء المغرب من الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج، وجعلها مناسبة للتعريف بسيرة النبي ﷺ، وعدّ معجزاته وأعلام نبوّته، يتقارى فيها الناس، ويحتفلون ويبتهجون بما أنعم الله به على المسلمين من إظهار الدين، وقَمْع أعدائه الظالمين[1].

كما يتّسم هذا الكتاب بمنهجيّته العلمية؛ حيث اعتمد المؤلّف على الأحاديث والآثار الصحيحة أو المعتمدة، مُبَيِّنًا ومُخَرِّجًا الأحاديث التي يتطرّق إلى ذِكرها، فيكاد يكون أكثر كتب الإسراء والمعراج تثبّتًا وصحّة. مع احتوائه على عدّة أبحاث علمية وصوفيّة محرّرة، علاوة على اتّسام الكتاب بالغيرة الدينية القوية، والروح الإسلامية المفعمة.

---

(1) انظر حول الاحتفال بالمواسم تقديمنا لـ: «روضات الجنات في مولد خاتم الرسالات» للمؤلّف.

وقد عمل المحقِّقان على الاعتناء بمتن الكتاب، وتقديمه بمقدمة استعرضا فيها ذكر بعض الكتب المفردة لقصة الإسراء والمعراج لتبلغ حوالي 26 مؤلَّفًا، تلك المقدمة التي ضمّنها مُجيزنا مسند الحجاز السيد محمد بن علوي المالكي ـ حفظه الله تعالى ـ في مقدمة كتابه: «وهو بالأفق الأعلى»، وأضاف إليها إضافات، وعلّق على الكتاب والمقدمة بقوله ص 13:

«يواقيت التاج الوهّاج في قصة الإسراء والمعراج، للإمام العلاّمة المُشارِك، الدّاعية المجاهد في سبيل الله؛ أبي الهدى محمد الباقر ابن الشيخ محمد الكتاني الشهيد، المتوفّى بسلا سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وألف. وهو كتاب قيّم جمع بين الطريقتين القديمة والحديثة، حيث جعله على نسق الموالد التي تُقرَأ في المجامع والنوادي والمحافل، في فصول قصيرة، وبين كل فصل وفصل تعطيرة متضمّنة الصلاة والسلام على النبيّ ﷺ. . . مع أسلوب رصين رائق، وفهم راقٍ ذائق، وإشارات عالية، وحِكَم سامية، وتحليل بديع، وتصوير رفيع».

«وقد طبع باهتمام ولديه: السيد عبد الرحمٰن والسيد محمد، وهما من أفاضل علماء المغرب، وكتبا له مقدمة مفيدة سديدة، استفدت منها ومن الكتاب فوائد عديدة». انتهى باختصار.

ومن عجيب المناسبات أن كتاب «يواقيت التاج الوهّاج» كان آخر ما قام به المؤلّف من الأعمال قبل وفاته، فقد حدّثتني والدتي الأُستاذة نزهة بنت الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد الباقر الكتانية حفظها الله تعالى، أنه كان جالسًا وهو يكتب كتابه هذا، ثم مكث مستريحًا وقال لابنته: «حَذار أن يقترب فلان من الأوراق» (لطفل صغير من أهل البيت)، وطلب حِساء، فشربه، ثم قام ليتوضأ استعدادًا لصلاة المغرب، وإذا به نُوزِعَ وهو يتوضأ، فحُمِلَ إلى سريره وتوفي فيه من ساعته، ونظرًا لخفّة الموت عليه وإشراق وجهه بحيث مكث إلى اليوم بعده محمرّ الوجنتين، بهيّ الطلعة؛ لم يصدّق الناس وفاته. فكان هذا الكتاب إيذانًا بعروج روحه إلى الملأ الأعلى رحمه الله ورضي عنه.

ومن تعلّق المؤلّف رضي الله عنه بالنبي الكريم ﷺ: انه ألّف ديوانًا في مدحه ضمّنه بضعة آلاف بيت، كما كتب في السيرة والسُّنَّة والحديث العديد من المؤلّفات المحرّرة، وقد أخبرني خالي وشيخي العلاّمة الدكتور محمد بدر الدين بن عبد الرحمٰن الكتاني حفظه الله تعالى، أنه شاهد المؤلّف ـ رضي الله عنه ـ قبل وفاته بأسبوع وهو

يتحدّث مع أحد علماء وسط آسيا عن الشمائل المحمدية وعيناه تفيض من الدمع شوقًا إليه ﷺ.

وأكتفي في هذه العجالة بما كنت كتبته في ترجمة المؤلّف في مقدمة كتابه: «روضات الجنّات في مولد خاتم الرسالات». جعل الله تعالى هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم بمنّه وكرمه.

وكتبـــه

الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي بن المنتصر الكتاني

الرباط: 26 ذو الحجة عام 1424



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقـــــديم
هذه كتب تحدّثت عن الإسراء والمعراج

بقلم الأستاذين عبد الرحمٰن الكتاني
ومحمد الكتاني ولَدَي المؤلِّف

إليك اللَّهمَّ يصعد الكَلِم الطيب والعمل الصالح ترفعه ومنك اللَّهمَّ نرجو أزكى الصلاة وأتمّ التسليم، على أفضل الورى في الموقف العظيم، سيِّدنا محمد بن سيِّدنا عبد الله وآله وصحبه المهديِّين الهادين إلى الصراط المستقيم.

أما بعد فنقول كما قال عمُّ والدنا الحافظ أبو الإسعاد محمد عبد الحيِّ الكتاني ـ رحمه الله ـ في كتابه المسمَّى بالتآليف المولدية[1]:

قبل كل شيء أردنا أن نُصارح المُطالع المدقِّق بأن الرجل الخريت لو جال وأطال الترحال وكشف عن ساعِده تنقيبًا وبحثًا في خزائن الأرض طولها وعرضها لم يجد في البشر على اختلاف وجوه العظمة والإكبار من تتبّع الناس منه وقائع الميلاد وحوادث الوفاة وشتّى الحركات والسَّكنات وأحوال الإقامة والتنقّلات وأطوار الغضب والرضى ووقائع السّلم والحرب والعطاء والمنع والتحريم والتحليل غير فرد واحد في العالم الإنساني هو نبيّ المُرسَلين ورسول العالمين عليه أفضل صلوات الله وأزكى تحيّاته بحيث لو قُدِّر لدولة عظيمة من الدول الأرضية أن تجتهد في جمع كل ما كتب عنه ـ عليه السلام ـ لجمعت من ذلك خاصّة مكتبة عظيمة لا تقصر عن أعظم مكاتب العالم.

---

(1) ذكر الحافظ الكتاني في هذا التأليف ما كتب على خصوص المولد النبوي الشريف وتبيان أخذ بعضها عن بعض وطرق الاتصال بها وقد نشرته مجلة الزيتونة التونسية في عدة أعداد ابتداء من شهر ربيع الأول 1356 الموافق لشهر مايو سنة 1937. والمجلة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 1818.

نقول هذا مع العلم بما ضاع وأضاعه أهله وأحرقه أعداؤه من كتب هذا الشأن في وقعة التتار واستيلاء الإسبان على الأندلس.

وربما تلتفت سائلاً هل سبقك أحد إلى هذا الإحساس والشعور؟ فنجيبك:

بعبارة وجدناها لرجل عظيم من أوعية التاريخ في الإسلام وهو الحافظ شمس الدين السخاوي في كتابه «الإعلان بالتوبيخ لمَن ذمّ التاريخ» أنه لو حصل التصدّي لجمع اسم مَن كتب في السِّيرة النبويّة لكان في عشرين مجلدًا فأكثر.

هذه عبارته عمّا كتب في القرون الأولى إلى القرن التاسع، فإذا زدت عليه ما كتب بعده في هذه القرون الأربعة انجلى الأمر على حقيقة ما ذكرناه.

وإذا أردت مثالاً يُوقفك على ما وراءه، فإن عائلة واحدة بالمغرب الأقصى هي (العائلة الكتانية) اتفق لعدد من أفراد علمائها الاشتغال بالتدوين في الشؤون المحمدية، فمنهم مَن كتب في ميلاده عليه السلام، ومنه مَن كتب في علمه، ومنهم مَن كتب في نظام حكومته، ومنهم مَن كتب في شيبه وخضابه، ومنهم مَن كتب في أكله ولباسه، ومنهم مَن كتب في شمائله وغير ذلك مما يجتمع منه لهم خاصّة قريب من مائة مصنَّف يجتمع منها عدة مجلدات ضخمة.

وهذا يدلّك على اهتمام المسلمين بشؤون نبيِّهم اهتمامًا لم يشاركهم فيه رجال دين آخر، وها هي خزائن الأرض مفتوحة في وجوه المُطالعين، وأغلب فهارسها مطبوعة فهل يجد المُطالع فيها المُتَتَبِّع مثل هذا أو بعضه للنصارى واليهود في أنبيائهم أو للبوذية أو البراهمة في زعمائهم؟ لا... لا..!.

ومعلوم أن القرآن المُبَيِّن وحديث الرسول الصادق الأمين تحدَّثا عن الإسراء والمعراج كجزء من السِّيرة النبوية وعليهما يدور محور كل ما ألَّفه علماء الإسلام في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصائص الإسراء والمعراج. وما شاهده أثناءهما من الأمور الخارقة التي لم يخصّ الله بها أحدًا من الأنبياء والرُّسُل.

وقد ذكرنا في تقديم المولد النبوي الباقري أسماء ثلاثة وثلاثين كتابًا من أُمَّهات كتب السِّيرة النبوية. وكلها تحدَّثت عن الإسراء والمعراج بعد أن تحدَّثت عن المولد النبوي.

ونذكر هنا أسماء كتب أخرى انفردت بالحديث عن الإسراء والمعراج، فنقول:

1 ـ السّراج الوهّاج في حقائق المعراج للعلاّمة المشارك الشيخ أبي إسحٰق إبراهيم بن علي بن أحمد الشافعي النعماني المصري تلميذ الحافظ ابن حجر المتوفَّى سنة ثمانية وتسعين وثلاثمائة.

قال الإمام القسطلاني في المواهب: صنَّف كتابًا في المعراج جامعًا للإطناب بزيادة الرقائق والإشحان بفواضل الحقائق[1].

2 ـ كتاب المعراج للإمام المفسِّر المحدِّث الأصولي الأديب أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الشافعي المتوفَّى سنة خمس وستين وأربعمائة وهو صاحب الرسالة القشيرية[2].

3 ـ مصنَّف المعراج للعلاَّمة الجليل المؤرِّخ الأثيل أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن خليه اللخمي ساكن المرية ثم مراكش (ابن الإشبيلي) المتوفَّى بمراكش سنة سبع وستين وخمسمائة قَدِمَ بالمعراج على أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الموحدي وهو محاصر أغمات (وريكة) في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة فحظي عنده[3].

4 ـ كتاب الإسراء المحدِّث الإسلام أحد الأئمة المبرزين الأعلام ذي الورع والعبادة والتمسّك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الحنبلي المتوفَّى سنة ستمائة.

قال الإمام أحمد القسطلاني رحمه الله في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (أفاد الإمام الذهبي أن الحافظ عبد الغني جمع أحاديث الإسراء في جزأين ولم يتيسَّر لي الوقوف عليهما بعد الفحص الشديد) مخطوط.

---

(1) السراج مخطوط بالخزانة العامة بالرباط قسم المكتبة الكتانية رقم 110.

(2) نشرته دار الكتب الحديثة في 140 صحيفة لصاحبها توفيق عفيفي بالقاهرة بتحقيق الدكتور علي إحسان عبد القادر عميد كلية الشريعة بجامعة الأزهر.

(3) انظر الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة لقاضي الجماعة بمراكش العلاَّمة الكبير أبي عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي. السفر الخامس القسم الأول عند الترجمة رقم 589 ص 304. وقد جعله مؤلِّفه ذيلاً على صلة ابن بشكوال وعلى الأصل لابن أبي الوليد عبد الله بن محمد الأزدي المعروف بابن الفرضي الأندلسي.

5 ـ الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء للحافظ المحدِّث المؤلِّف المُكثِر جلال الدين بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي الشافعي المتوفَّى سنة إحدى عشرة وتسعمائة يشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: في سرد الأحاديث الواردة فيه.

الفصل الثاني: في حقيقته.

الفصل الثالث: في تاريخه.

الفصل الرابع: في نكت المعراج، مطبوع بدمشق.

6 ـ الآيات العظيمة الباهرة في معراج سيِّد أهل الدنيا والآخرة، للإمام الحافظ محدِّث الديار المصرية ومسندها شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الشامي ثم الدمشقي الصالحي نزيل البرقوقية بصحراء مصر القاهرة خارج باب النصر، المتوفَّى بها سنة اثنين وأربعين وتسعمائة، لخّص الكلام على ذلك في سبعة عشر بابًا يطول ذكرها وجعل الباب السابع عشر في التنبيه على بعض أحاديث موضوعة افتراها في المعراج مَن لا خَلاق له وتداولها جماعة لا خبرة لهم بعلم الحديث، قال: «فتعيَّن ذكرها لتحذر».

وقال أيضًا: «واعلم أنني لم أذكر في هذا الكتاب حديثًا موضوعًا ألبتّة إلا ما نبَّهت عنه» مطبوع بمصر.

قال الشيخ يوسف النبهاني في جواهر البحار: «لم أرَ في المعاريج أجمع وأنفع منه وكل مَن جاء بعده كالغيطي والأجهوري فإنما أخذوا جُلّ فوائدهم عنه.

والحافظ الشامي هذا هو صاحب السِّيرة المسمّاة (بسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوَّته وأفعاله في البدء والمعاد).

وقد مَثَلَت للطبع فطبع منها نحو ثلاثين جزءًا لحدّ الآن.

7 ـ الفضل الفائق في معراج خير الخلائق، له أيضًا.

ذكر مُتَرجِموه أنه ظفر بمعلومات أخرى بعد أن فرغ من معراجه الأول فأضافها إليه وسمَّاه بهذا الاسم، مخطوط.

8 ـ الابتهاج في الكلام على الإسراء والمعراج، للعلاَّمة المحدِّث المسند نجم الدين أبي المواهب محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر السكندري ثم المصري الغيطي الشافعي المتوفَّى سنة إحدى وثمانين وتسعمائة.

9 ـ تأليف في المعراج للعلاَّمة المُشارِك وخصوصًا في الأصول والنحو والأنساب والأدب جمال الدين محمد بن أبي بكر الأشحر اليمني الشافعي[1] المتوفَّى سنة واحد وتسعين وتسعمائة.

10 ـ النور الوهَّاج في الكلام على الإسراء والمعراج، للإمام العلاَّمة الشيخ علي الأجهوري المالكي المتوفَّى سنة ست وستين وألف.

قال فيه الشيخ يوسف النبهاني في جواهر البحار ج 3 ص 1213 أنه اشتمل على فوائد كثيرة متنوِّعة أنواعًا شتَّى.

11 ـ حاشية العلاَّمة الكبير المُشارِك الصوفي الشيخ الجليل أبي البركات أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي الشهير بالدردير المتوفَّى سنة إحدى ومائتين وألف، على معراج نجم الدين الغيطي المتقدم.

طُبِعَت مع الأصل بمصر.

12 ـ سبع مجلدات في المعراج من كتاب الذخيرة في السِّيرة النبوية للإمام الكبير العارِف الشهير مَفخَرَة المغرب أبي الذخائر محمد المُعطي بن الصالح الشرقي دفين مدينة (بجعد) ستة ثمانين ومائة وألف، مخطوط[2].

---

(1) كتب لي الأستاذ الكبير السيد محمد المنوفي الحسني حفظه الله أن تأليف الأشحر هذا مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 4735.

(2) قال الحافظ الكتاني في فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات 2/ 162. الذخيرة من أعظم الكتب التي فاق بها المغاربة على غيرهم لأنها في نيف وسبعين مجلدًا من القالب الكبير ـ كما للشيخ (تو) في فهرسته ـ بالشاء بديع وبلاغة فائقة، يفرغ السيرة النبوية في قالب صيغة صلاة. وكل مجلد أو أكثر من هذه المجلدات في موضوع من مواضيع السيرة. فله في المعراج سبع مجلدات وفي الحج والزيارة وأما كُنها مجلدات سبعة وفي الشمائل النبوية ستة أسفار أيضًا وسفر في المولد وسفر في الوفاة النبوية. وسفر في النعال النبوية. وسفر في الأسماء النبوية. وسفر في الأعضاء النبوية وهكذا. وقد اشتهر هذا الكتاب وانتشر فقلَّ أن تخلو خزانة بالمشرق والمغرب من جزء منه أو أجزاء. ويوجد كاملاً في المكتبة المخزنية بفاس الجديد أدخله لها السلطان المقدس أبو علي مولاي الحسن رحمه الله. وقد قرظه ومدحه أعلام عصر مؤلّفه بالحجاز ومصر وتونس وغيرها من بلاد إفريقية. وبعد أن ذكر جملة من أعلام المشرق والمغرب قال: وهذه التقاريظ مجموعة في مجلد يُعرَف عند آل المترجم بسفر الإجازات وهو سفر التقاريظ. وبالجملة فكتاب الذخيرة هذا كتاب عظيم مَن تأمّله علم أن مؤلّفه ـ كما قال الشهاب الجوهري في تقريظه ـ: وامتزجت محبة النبي ﷺ بلحمه وعظمه وشعره وعروقه ودمه. وأرجو من أخي الأستاذ المكافح السيد محمد الشرقاوي ـ صهر جلالة الملك =

13 ـ التاج الوهّاج في قصة المعراج، للإمام العلاَّمة الكاتب البليغ السيد جعفر بن حسن بن عبد الكريم زين العابدين البرزنجي المدني المتوفَّى سنة سبع وسبعين ومائة وألف أثبته الشيخ يوسف النبهاني في جواهر البحار من ص 1232 إلى 1257 من الجزء الثالث، وهو مُحَرَّر بأسلوب عالٍ وعبارات بليغة ومُخَلَّل بهاته التصلية:

(ضوع اللَّهمَّ معهده الشميم بنشر غوال من صلاة وتسليم اللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم وبارك عليه).

طُبِعَ بالمطبعة الحميدية بمصر.

14 ـ شرح معراج البرزنجي المسمَّى بتاج الابتهاج، للعلاَّمة المُشارِك الأديب الكبير السيد جعفر بن إسماعيل البرزنجي رحم الله الشَّارح والمشروح.

وقد طُبع مع أصله بالمطبعة الحميدية بمصر.

15 ـ نيل المنى وغاية السول، يذكر معراج النبي المختار الرسول، للإمام الحافظ المُحَدِّث العارف بالله أبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني الإدريسي الحسني المتوفَّى بفاس سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وألف.

مطبوع مرات منها؛ مطبعة الصداقة بسوق الحميدية بدمشق.

16 ـ المنهاج السامي مختصر المعراج الشامي، للإمام العلاَّمة المُشارِك حسان زمانه وبوصيريه الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني المتوفَّى بفلسطين سنة خمسين وثلاثمائة وألف.

قال رحمه الله في جواهر البحار بعد كلامه المتقدّم ج 3 ص 1158:

وقد اختصرته بإثبات فوائده وحذف ما لا ضرورة له في شؤون المعراج، سالكًا سبيل الاعتدال على أقرب طريق وأحسن منهاج، وقد أثبته في الجواهر من ص 1158 إلى 1213.

17 ـ كتاب في الإسراء والمعراج للعلاَّمة الكبير الاختصاصي في علميّ الأصول والفقه الحنفي الشيخ محمد بخيت بن حسين المطيعي مفتي الديار المصرية المتوفَّى بمصر سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف. مطبوع بمصر.

= والوزير السابق أن يؤسّس لجنة من العلماء المختصّين ويعهد إليها بتحقيق الكتاب وتمثيله للطبع في حلّة رائعة تليق بجلالة المؤلّف فيه وبعلم وعمل المؤلّف. إن تحقيق هذا الرجاء يخدم الإسلام والمغرب خدمة كبرى ويخلد اسم مُنجزه مع الخالدين.

18 ـ النظم البديع في مولد الشفيع، للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني المتقدم، افتتحه بالآيتين الأخيرتين من سورة التوبة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبَة: الآية 128] ثم بقوله:

الـحـمـد لله عـلـى آلائـه حمد امرىء أخلص في أدائه

أحـمـده والـحـمـد من نـعـمائه أن خـصّـنـا بـخـيـر أنـبـيـائـه

مـحـمـد سـيّـد كـل عـبـد

وخلّل فصوله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: الآية 56] الآية اللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

19 ـ حسن الابتهاج بالإسراء والمعراج، معراج نظمي للعلاَّمة الأديب الشيخ محمد عارف أفندي الدمشقي الشهير بابن المنير يقول فيه بعد الطالعة:

وبـعـد فـالإيـمـان بـالإسـراء وجـوبـه حـتـم بـلا مـراء

قد جاء في القرآن نصًا وضحًا وخبر المعراج أيضًا صحّحا

طُبع بمطبعة سورية برخصة من مجلس المعارف المؤرَّخة بـ 3 رجب سنة 1307.

20 ـ المعراج النبوي للعلاَّمة الجليل الشيخ حسن الشطي، مطبوع بمطبعة الترقّي بدمشق سنة 1352.

21 ـ اختصار معراج الشطّي للعلاَّمة الصالح محمد الشطي اختصر فيه معراج والده المذكور، مطبوع مع أصله بمطبعة الترقّي.

22 ـ رسالة في المعراج النبوي للعلاَّمة الصوفي الكاتب الأديب أبي عبد الله محمد ماضي أبي العزائم المتوفَّى سنة ستّ وخمسين وثلاثمائة وألف.

طُبِعَت سنة 1331 لأول مرة.

23 ـ كتاب في الإسراء والمعراج للعلاَّمة الجليل المحدِّث الصوفي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحاج السلمي المرداسي الكتاني طريقة المتوفَّى بفاس سنة أربع وستين وثلاثمائة وألف، أحد شيوخ والدنا رضي الله عنه وأُستاذ التفسير والحديث بجامعة القرويين اشتمل على مجلدين ولعله أهم ما ألِّف في الموضوع سمعت الثَّناء عليه من جماعة من العلماء.

24 ـ رسالة في المعراج لأبي العباس أحمد بن محمد العمراني الحسني الفاسي العلاَّمة الجليل المؤلِّف المُكثِر أحد كبار علماء جامعة القرويين الذين أفنوا أعمارهم في التدريس وأحد شيوخ والدنا رحمه الله المتوفَّى بفاس سنة سبعين وثلاثمائة وألف، مطبوع.

25 ـ حُلَل الديباج، المطروزة بقصة الإسراء والمعراج، للفقيه العلاَّمة المؤلِّف المجيد أبي العباس أحمد بن محمد الرهوني التطواني وزير العدل بشمال المغرب وشيخ الجماعة بتطوان المتوفَّى بها سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وألف.

طُبع بالمطبعة المهدية بتطوان سنة 1352.

26 ـ يواقيت التاج الوهَّاج، في قصة الإسراء والمعراج، لوالدنا الإمام العلاَّمة المشارك الداعية المجاهد في سبيل الله أبي الهدى محمد الباقر بن الشيخ محمد الكتاني الشهيد المتوفَّى بسلا سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وألف، وهو الموجود بين يديك أيها القارىء الكريم.

وشاء الله أن يشتغل بتأليفه في الشهرين الأخيرين من حياته ويأذن نظرًا لمرضه لولده الأول في قراءة ما كتب منه أثناء احتفاله السنوي بذكرى الإسراء والمعراج ليلة السابع والعشرين من شهر رجب سنة 1384 على الجماهير المؤمنة من مريديه ومُحبِّيه التي كانت تحضر عادة احتفالاته. كما شاء الله أن يتم مسودّته قبل موته بسبعة أيام ويشرع في إخراج نسخة ثانية منه يوم موته ويوقف الكتابة قبل أن يلفظ نفسه الأخير بأربع ساعات وهو يتهيّأ لأداء صلاة المغرب من ليلة الجمعة فكان إيذانًا بعروج روحه إلى الرفيق الأعلى وآخر إنتاج خطته تأمّله ألحقنا الله به مسلمين لا مبدلين ولا مغيرين.

27 ـ درس قيّم في الإسراء والمعراج للعلاَّمة الكبير والداعية الشهيرة أبي سالم عبد الله بن عبد الصمد كنون المستاري الحسني الفاسي ثم الطنجي الأمين العام لرابطة علماء المغرب تحت عنوان معجزة الإسراء والمعراج وما تضمنته من الآيات والعِبَر.

ألقاه بالمسجد الأعظم بطنجة ثم نشره في عددين من مجلة لسان الدين، أبقاه الله.

28 ـ مجموع مقالات في الإسراء والمعراج له أيضًا نشرت واحدة منها بمجلة الوعي الإسلامي الكويتية بعنوان «المعراج رحلة إلى السماء الحقيقية لا اللغوية، وهي

رحلة فريدة في تاريخ الإنسانية لم تقع لغير نبي الإسلام ولن تقع لأحد بعده. وثانية نشرت بمجلة دعوة الحق المغربية. وثالثة نشرت بجريدة الميثاق لسان رابطة علماء المغرب بعنوان: هل المعراج موسم شرعي؟ وغيرها مما لم أستحضره الآن.

29 ـ إظهار السرور والابتهاج بقصة الإسراء والمعراج، للعلاّمة الداعية أبي اليمن عبد الحفيظ بن عبد الصمد كنون المستاري الحسني الفاسي ثم الطنجي خطيب المسجد الأعظم بطنجة أبقاه الله اعتمد فيه على الأحاديث الواردة في الصِّحاح عن هذه الآية الكبرى، مخطوط.

30 ـ العالم الآخر في قصص المعراج للأستاذ المقتدر الشاعر المجيد السيد عبد اللطيف خالص مدير دار الإذاعة والتلفزيون بحث قيِّم نشرته مجلة «البحث العلمي» التي يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي التابع لجامعة محمد الخامس بالرباط العدد السابع المؤرِّخ بشهري رمضان ومحرّم 1385 ـ 1386 السنة الثالثة من ص 57 إلى 74.

وغير ذلك مما يطول ذكره ويحتاج إلى عدة كراريس لأن موضوع الإسراء جانب مهم في السيرة النبوية تفاني العلماء في دراسته وإعطائه ما يستحقه من العناية خدمة للإسلام والمسلمين وبرهانًا على تعلقهم بالجناب النبوي وتغذية لأرواح الأجيال الصاعدة بما يكسبها مزيدًا من التعلّق بالإسلام ولزوم سبيل الحق والصدق.

وقد تغافلنا عن ذكر المعراج الذي نسب إلى حَبْر الأمة وترجمان القرآن سيِّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لأن هذه النسبة غير صحيحة من الوجهة التاريخية ولأنه اشتمل على أحاديث موضوعة.

وقد طُبع بالمطبعة العلمية بدمشق الشام.

وعن ذكر المجلات الشرقية التي أصدرت أعدادًا خاصة بالإسراء والمعراج مفيدة جدًّا لأنها منتشرة بين أوساط المسلمين.

وعن ذكر قصائد الملحون الرائعة في الموضوع وهي منتشرة في المغرب بين الشعبيين. وتصوّر شدّة إيمان شعراء الملحون وإيمان الشعب المغربي ـ بربِّه ونبيِّه ـ هذا الشعب الذي يلذّ له سماعها ويهتزّ طربًا لإنشادها وكلها مستمدّة من دروس العلماء.

كما تغافلنا عن تأثير قصة الإسراء والمعراج في الآداب الإسلامية عمومًا وفي الأدب الصوفي خصوصًا، هذا الأدب الذي أصبح متوفّرًا على معاريج صوفية تعدّ آية في الجمال.

وعن تأثيرها في الأدب المسيحي في القرون الوسطى حتى تأثّر بها بعض أدبائه فيما كتبوه عن الكوميديا الإلـهية وغيرها.

ولنختم هذا التقديم بماله قاله الشيخ الأكبر والإمام الأشهر فيلسوف الإسلام ومحيي الحق والدين أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بابن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي المرسي المكّي ثم الدمشقي المتوفّى سنة ثمان وثلاثين وستمائة قدّس الله روحه في بقية الجزء الثالث من كتاب الفتوحات المكية ص 450.

(له ﷺ أربع وثلاثون مرة التي أسرى به منها إسراء واحد بجسمه والباقي بروحه رؤيا رآها.

أما الأولياء فلهم إسراءات روحانية برزخية يشاهدون فيها معاني متجسّدة في صور محسوسة للخيال يعطون العلم بما تضمنته تلك الصور من المعاني ولهم الإسراء في الأرض وفي الهواء غير أنهم ليست لهم قدم محسوسة في السماء. وبهذا زاد على الجماعة رسول الله ﷺ بإسراء الجسم واختراق السمـٰوات والأفلاك حسًّا وقطع مسافات حقيقية محسوسة. وذلك كله لورثته معنًى لا حسًّا من السمـٰوات فما فوقها).

ونحمده سبحانه وتعالى على تحقيق أُمنية والِدنا في طبع مولده ومعراجه وهي أُمنية أبدى عزمه على تحقيقها صبيحة اليوم الذي توفي فيه بل كلّف ولده الأول بإجراء مفاوضة مع المطبعة في شأنهما وأجراها بالفعل وحالت أعذار قاهرة عن إتمامها.

فنسأل الله عزَّ وجلّ أن يغلبنا على جميع الصّعاب حتى نقوم بطبع جميع مؤلّفاته وما ذلك على الله بعزيز.

ويرحم السَّلف ويُبقي البركة في الخَلَف، آمين.

وصلّى الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

سلا ـ في 2 شوّال 1398 ـ 23 ستنبر 1978

عبد الرحمـٰن الكتاني

محمد الكتاني

الإشادة
بمؤلّف المعراج
رحمه الله ورضي عنه

أنشأ أخونا الأستاذ الكبير العالِم المثالي، الشاعر الفحل السيد الحسن البونعماني عضو الديوان الملكي قصيدة رائعة في رِثاء صاحب الفضيلة مؤلّف المعراج رضي الله عنه، شارك بها وألقاها بنفسه في المهرجان الخطابي الكبير الذي أقامته رابطة علماء المغرب بمسرح محمد الخامس بالرباط مساء يوم الأحد 19 شوّال 1384 ـ 21 يبراير 1965 ابتداء من الساعة الثالثة إلى الثامنة بمناسبة الذكرى الأربعينية لوفاة الشيخ محمد الباقر الكتاني طيَّب الله ثَراه بدعوة من أمينها العام المشارك السيد عبد الله كنون الحسني حفظه الله ننشرها بمناسبة حديث الشاعر فيها عن مؤلّف المعراج عمومًا وعن هذا المعراج وما يرمز إليه خصوصًا ونزفّ إلى القرّاء الكِرام بشرى إصدار كتاب عن الذكرى في القريب إن شاء الله.

قال شاعر سوس العالمة أبقاه الله:

الحمد لله ـ والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد وآله وصحبه.

مؤلّف المعراج جاورت مَن أسرى به الله.

«تأليفك الميمون عنوان ما تلقاه»

يا واهبًا حياته للهدى ... ولابسًا في قومه السؤددا
ويا مجاهدًا وقد أحجمت ... فوارس الهيجاء خوف الردى
ويا مكافحًا بأقلامه ... ومصليًا ـ مذ كان ـ جيش العدا
ويا مضحيًا لتحيى البلا ... د نم هنيئًا مرضيًا سرمدا
سلوا (سلا) إذ سل عند الندا ... إلى الكفاح الصارم المغمدا

بكل ما في الطوق ضحى وكم ... للقطر بالإرشاد أسدي اليدا
أوقاته وقفها للعلا ... أقواته أنفقها في الندى
محاسن شتى تحلى بها ... وحلّة الفردوسيين ارتدى
شمائل تصبيك من لطفها ... وطلعة زيّنت المنتدى
طراز أهل البيت في عصره ... قدَّس محياه إذا ما بدا
فكلما بدا لنا مشرقًا ... ذكرنا (الكاظمي) الأمجدا
وخلت (زين العابدين) انبرى ... في منبر يبث نور الهدى
و(الصادق) السامي الذرى جعفرا (والباقر) السميدع الأسعدا
إذا امتطى منصة الدرس في ... الإرشاد شمت العالم المرشدا
أو جال في الإسناد يروي لنا ... شاهدت منه السني المسندا
ما شئت من نسك وعلم ومن ... همَّة نفس تعتلي الفرقدا
بتلكم الأوصاف نال العلا ... والمرء لا يرقي المعالي سدى
خلّد بين العالمين الثنا ... أريجه يفوح طول المدى
شتّان ما بين الذي في الورى ... خلد مجدًا والذي أخلدا
إن كان قوم فرقوا شيعًا ... فإنه بهديه وحَّدا
لا غرو إن سَمَت به همّة ... كما سَمَى فرعًا سَمَى محتدا
من معشر طابت سجاياهم ... هذَّب منهم سيّد سيدا
فأربع لديه باحثًا تستفد ... فربع سكناه غدا معهدا
إن أنت ترثي فأرث أمثاله ... وشنف الدنيا بما شيّدا
لمّا نعوه بيننا أفزعوا ... ونعيه أقامنا أقعدا
واهتزّت الأقطار من وقعه ... شرقًا وغربًا عمَّ منه الصدى
لله يوم دفنه مشهد ... أعظم به في يومه مشهدا
مؤلّف المعراج جاورت مَن ... أسرى به الله فطوبى غدا
تأليفك الميمون عنوان ما ... تلقاه عيشًا أطيبًا أرغدا
ختمت بالمعراج أنفاسكم ... فاهنأ به ختمًا وطب موردا
يا راحلاً إلى جنان العُلا ... نفسي لتلك الروح نفسي الفدا
إليك أشواقًا تشقّ الفضا ... ما عندليب حنّ أو غرّدا
تحية من حفل ذكراك ما ... ذكرى حبيب هيّجت منشدا

الحسن البونعماني

يواقيت التّاج الوهّاج
في قصة الإسراء والمعراج

لخويدم الجناب المحمّدي
محمد الباقر ابن الشيخ أبي الفيض محمد ابن الشيخ أبي المكارم
عبد الكبير الإدريسي الكتاني الأثري
لطف الله به آمين

قـدّم له

عبد الرحمٰن الكتاني   محمد الكتاني

ولَدَا المؤلِّف



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عمِّر اللَّهمَّ قلوبنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمديَّة إلى مواطن الهدي والرَّشاد، وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصافّ الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللَّهمَّ وسلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

* * *

نحمدك اللَّهمَّ يا مَن أسْرَيْتَ بعبدك سيِّدنا محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ـ ثم عرجت به إلى السَّمٰوات العُلَى، ثم إلى سدرة المنتهى ثم إلى المستوى الذي سمع فيه صريف الأقلام في تصاريف الأقدار، ثم إلى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي حتى كان منك قابَ قوسين أو أدنى، ومنحته من الكمالات ما يجلّ عن الحَصْر، وعطَّرته بعطر يعمّ الخلق والكرسي والعرش بالنشر، واخترته لهداية البشرية جمعاء إلى الصراط المستقيم، وختمت به الأنبياء والرُّسُل، وفضَّلته على الملأ العلوي والسفلي بجودك العميم، وعلَّمته ما لم يكن يعلم مما كان وما سيكون إلى يوم الدين كما نطقت بذلك الأحاديث النبوية الصحيحة التي تفيد اليقين وكان فضلك عليه عظيمًا، وخصوصًا ليلة الإسراء والمعراج التي كلَّمته فيها تكليمًا.

نؤمن بوحدانيتك، ونقرّ بربوبيتك، ونشهد أنك الله بديع المكوّنات ومُنشىء أصناف المخلوقات. تعاظمت نعمك المتواترة وتكاثرت مواهبك المتناثرة لا إلٰه إلا أنت العزيز الحكيم، الهادي مَن تشاء إلى الصراط المستقيم.

ونشهد أن سيِّدنا محمدًا رسول العالمين وهادي الإنس والجن إلى الهدي المستبين، وعنصر الفضائل ومعدن الكمالات وسفينة النجاة لمَن ركبها من الموجودات، ودائرة المعارف والعلوم، وقاموس الأسرار والفُهُوم.

اللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم وبارِكْ على سيِّدنا محمد صلاة أهل السمٰوات والأرضين عليه، وأجرِ يا ربّ لطفك الخفي في أُمورنا وأُمور المسلمين أجمعين وآله وصحبه والتابعين.

* * *

عمِّر اللَّهمَّ قلوبَنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهَدي والرَّشاد وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصاف الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللَّهمَّ وسَلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

* * *

أما بعد ـ فيقول خُوَيدم الجناب المحمّدي، محمد الباقر بن شيخه الشيخ أبي الفيض محمد بن شيخه الشيخ أبي المكارم عبد الكبير الكتاني الإدريسي الحسني شفاه الله من جميع الأمراض الحسيَّة والمعنوية، وسقاه بفضله وجوده من الأبحر المحمدية آمين بالآمين.

وقد ورد عليَّ في هذا الشهر المبارك شهر رجب الفرد الحرام من سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وألف من هجرة سيِّد الأنام أن أُؤلِّف كتابًا موجزًا عن معجزة الإسراء والمعراج التي هي من أعظم المعجزات يكون سببًا في شفائي من جميع الأمراض وتطهيري من جميع السيئات فاستحسنت هذا الوارد الرحماني، وسألت التأييد من الجود الربَّاني، وألَّفت هذا الكتاب المختصر المُقتَبَس من كتب التفسير والحديث والسِّيَر، جاعِلاً محوره يدور على ما يأتي:

تمهيد: في ذكر أسماء الصحابة الذين رَوَوا أحاديث الإسراء والمعراج.

الزمرّدة الأولى: في أن السبب الأول من أسباب الإسراء والمعراج هو مأساة الطائف.

الزمرّدة الثانية: في أن السبب الثاني من أسباب الإسراء والمعراج هو تزويده صلّى الله عليه وآله وسلّم بأسمى أنواع العلم وإثبات أن الحركة الواقعة في السرعة إلى الحدّ الذي وقع له ممكنة في نفسها.

الزمرّدة الثالثة: في أن السبب الثالث من أسباب الإسراء والمعراج هو فرض الصلاة.

الياقوتة الأولى: في الإسراء ومشاهده صلّى الله عليه وآله وسلّم أثناءه.

الياقوتة الثانية: في خطب جمع من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالمسجد الأقصى.

الياقوتة الثالثة: في تفسير قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: الآية 1].

الياقوتة الرابعة: في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسرَاء: الآية 1].

الياقوتة الخامسة: في المعراج ومشاهده صلّى الله عليه وآله وسلّم أثناءه.

الياقوتة السادسة: في رؤيته صلّى الله عليه وآله وسلّم لربّه سبحانه وتعالى ليلة الإسراء.

الياقوتة السابعة: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: الآيات 1 - 4].

الياقوتة الثامنة: في تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: الآيات 5 - 10].

الياقوتة التاسعة: في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: الآيات 11 - 18].

الياقوتة العاشرة: في أثر الإسراء والمعراج في نفوس المشركين ومحاولتهم تعجيزه ﷺ وبوءهم بالفشل.

الياقوتة الحادية عشرة: في الإشادة بالهدي النبوي وقصتيّ الإسراء والمعراج نظمًا.

الخاتمة: في الالتجاء إلى الله تعالى:

عليك اعتمادي يا إلٰهي وإنني أؤمل كل الخير منك وأرتجي
وأسأل منك الهدي في كل ما أرى وأطلب إسعادًا لكل الورى يجي[1]

* * *

عمِّر اللَّهمَّ قلوبَنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهَدي والرَّشاد وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصاف الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللَّهمَّ وسَلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

* * *

(1) إلى هنا وقف المؤلف رحمه الله ورضي عنه في النسخة الثانية التي شرع في نقلها من المسودّة وكان عازمًا على استئناف الكتابة فيها صبيحة اليوم الموالي، ولكن الله سبحانه اختاره لجواره بعد فراغه من الكتابة بأربع ساعات وهو يستعد لصلاة المغرب ليلة الجمعة 26 شعبان 1384 الموافق لآخر يوم من دجنبر سنة 1964 بمدينة سلا فكان هذا المعراج إيذانًا بعروج روحه إلى الرفيق الأعلى وآخر إنتاج خطَّته أنامله.

تمهيد

في ذكر أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث الإسراء والمعراج

اعلم أن قصة الإسراء والمعراج من أشهر المعجزات التي أيّد الله سبحانه وتعالى بها نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وأصدق الآيات الدّالّة على نبوّته ورسالته شرَّف الله قدره وعظّم، وقد كان الإسراء والمعراج بروحه وجسده في القصة كلها كما ذهب إليه جمهور المفسِّرين والمحدِّثين، والفقهاء والمتكلِّمين، اعتمادًا على ما ورد في القرآن منطوقًا ومفهومًا ونطقت به الأحاديث والآثار الصحيحة المملوءة معارف وعلومًا. وهو خصوصية كبرى من خواص الرسول الأمين لم تقع لسواه من الأنبياء والمرسلين. وأورد العلماء أحاديثها في طليعة الأحاديث المتواترة، ذات الأزهار المتناثرة.

أعرف من الصحابة الذين رووها ساداتنا: عمر بن الخطاب، وعليّ بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وصهيب الرومي وأُم هانىء وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق وأُم سلمة وأنس بن مالك وأبا ذر الغفاري وأبا هريرة وأبا سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري ومالك بن صعصعة وعبد الله بن عباس وشداد بن أوس وأُبَيّ بن كعب وعبد الرحمـٰن بن قرط وأبا حبة بالموحدة البدري[1] وأبا ليلى

(1) أبو حية البدري قال عنه الحافظ أحمد ابن حجر العسقلاني المتوفَّى سنة 852 في الإصابة 4/ 41: وقع ذكره في الصحيح من رواية الأزهري عن أنس عن أبي بكر بن محمد عمرو بن حزم عن أبي حبة البدري عقب حديث الزهري عن أنس عن أبي ذر في الإسراء، وروى عنه أيضًا عمّار بن أبي عمّار وحديثه عنه في مسند ابن أبي شيبة، وأحمد وصحّحه الحاكم وصرّح بسماعه عنه وعلى هذا فهو غير الذي ذكر ابن إسحـٰق أنه استشهد بأحد الخ. . . وقال في ترجمة أبي حبة ابن غزية الأنصاري المازني قال موسى بن عقبة وابن إسحـٰق وغيرهما شهد أُحُدًا واستشهد باليمامة وقد خلطه غير واحد بالذي قبله وفرّق بينهما غير واحد ـ قال أبو عمر: هذا خزرجي=

مُنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: الآيات 29 - 32].

فكأن الله تعالى يقول يا معشر الإنس لقد خصَّصتكم بأعظم خصيصة خصَّصت بها عبادي وهي أني أرسلت لكم محمدًا خاتم رُسُلي وأنبيائي ليتلو عليكم آياتي ويزكِّيكم ويعلِّمكم الكتاب والحكمة، وإن كنتم من قبل لفي ضلال مبين، فأبيتم إلا تكذيبه وإذايته بالرغم من كونه من أنفسكم وولد بينكم وكنتم تلقِّبونه بالأمين، وجاءكم بكتاب من عندي جمعت فيه ما افترق في غيره من الكتب وجعلته دستورًا لكم ولمن يأتي بعدكم إلى نهاية الدنيا، وضمن لكم سعادة الدين والدنيا والآخرة. وها نحن صرفنا إليه نفرًا من الجن يستمعون القرآن فآمنوا به بمجرد سماعهم له في جوف الليل وهو يصلي، وكان الأجدر بكم أن تسبقوهم إلى هذا الإيمان لأنّا كرَّمناكم وحملناكم في البر والبحر ورزقناكم من الطيبات وفضلناكم على كثير ممَّن خلقنا تفضيلاً. ولكن ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: الآية 46].

ولم يكتفِ أولئك الجن بالإيمان بل أصبحوا دُعاة إلى الله ومُرشدين لإخوانهم إلى هدى رسول الله.

وكان إيمان الجن هذا التسلية الثانية للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ويلذّ لي هنا أن أختم هذا الفصل الأول بالدعاء الذي فاهَ به صلّى الله عليه وآله وسلّم أثناء رجوعه من الطائف إلى مكة وهو ينمّ عن نفس عظيمة أخبتت إلى الله ولم تعوّل إلا عليه:

«اللّهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي وقلّة حيلتي وهَواني على الناس يا أرحم الراحمين وأنت ربّ المُستَضعفين، إلى مَن تَكِلني إلى عدوٍّ بعيد يتجهّمني أم إلى صديق قريب ملَّكته أمري، إن لم تكن غضبانًا عليَّ فلا أُبالي غير أن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له السمٰوات وأشرقت له الظلمات، وصَلُح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحلّ بي سخطك ولك العُتبَى حتى ترضى ولا حول ولا قوّة إلا بك».

أورده ابن إسحٰق في السيرة ورواه الطبراني في كتاب الدعاء وهو في مجلد، وفي معجمه الكبير عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الصحابي ابن الصحابي رضي الله عنهما.

* * *

عمِّر اللَّهمَّ قلوبَنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهَدي والرَّشاد وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصاف الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللَّهـمَّ وسَلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

* * *

الزمرّدة الثانية

في أن السبب الثاني من أسباب الإسراء والمعراج هو تزويده صلَّى الله عليه وآله وسلّم بأسمى أنواع العلم وإثبات أن الحركة الواقعة في السرعة إلى الحدّ الذي وقع له ممكنة في نفسها

ولمّا كان الإسلام دين العلم بجميع أنواعه وكانت هناك علوم لدنية وأسرار غيبية لا يمكن أن تُلَقَّن إلا مباشرة وبدون واسطة اشتاق صلَّى الله عليه وآله وسلّم إلى معرفة هذه العلوم لأنه كان على وشك الهجرة من مكة المكرّمة إلى المدينة المنوَّرة لتأسيس الدولة الإسلامية المُنتَظَرَة ووضع الترتيبات والتنظيمات لضمان سير البشرية في جميع الأزمنة والأمكنة في طريق مستقيم لا يزيغ عنه إلا هالك ولم يبقَ بينه وبين الهجرة إلا سنة.

لهذا استدعى الله سبحانه وتعالى نبيّه صلَّى الله عليه وآله وسلّم لتلقينه تلك العلوم واطّلاعه على كثير من الأسرار والفُهُوم.

وأيضًا لمّا أراد الله سبحانه وتعالى أن يبيِّن لعباده أنهم ما أُوتوا من العلم إلا قليلاً وإن استطاعوا أن يغزوا الفضاء وغيره من الأفلاك العلوية ـ استدعى العالِم الأكبر والرائد الأشهر صلَّى الله عليه وآله وسلّم ليقطع المسافات التي يستبعد العقل البشري قطعها ويبقى مثلاً أعلى في ذلك لا يمكن أن يحذو حذوه منّا سابق ولا لاحق.

وقد نبَّه سيِّدنا الإمام الوالد[1] رضوان الله عليه على الشطر الأول من هذا السبب في فصل من فصول ألفيّته التي وضعها في الكمالات المحمدية على بعض تلك العلوم التي استفادها صلَّى الله عليه وآله وسلّم من ربّه ليلة المعراج فعدّ منها:

---

(1) المتوفَّى صبيحة اليوم التاسع عشر من شهر ربيع الثاني عام 1327 شهيدًا بقصر أبي الخصيصات أحد القصور الملكية بفاس عن سبع وثلاثين سنة فكان أبرز شهيد في سبيل المحافظة على استقلال المغرب ووحدة ترابه رضوان الله عليه.

1 ـ العلم المحيط بتدبير الممالك والأشياء.

2 ـ فقه الهداية.

3 ـ علم الكمون.

4 ـ أسرار الظهور.

5 ـ أحكام القضاء والمشيئة.

6 ـ معنى النفوذ.

7 ـ آداب الملك والمالك.

8 ـ آداب التشريع وآداب الرّتب.

9 ـ تصريف القدرة.

وختم أبياته بقوله:

وأشهده ما لا يُطاق شهوده　　　وأسكنه بحبوح علم الإراده

ونبّه الإمام الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره على الشطر الثاني فقال:

(إن الحركة الواقعة إلى هذا الحدّ ممكنة في نفسها ويدلّ عليه وجوه:

الوجه الأول: أن الفلك الأعظم يتحرَّك من أول الليل إلى آخره ما يقرب من نصف الدور وقد ثبت في الهندسة أن نسبة القطر الواحد إلى الدور نسبة الواحد إلى ثلاثة وسبع، فيلزم أن تكون نسبة نصف القطر إلى نصف الدور نسبة الواحد إلى ثلاثة وسبع. وبتقدير أن يقال إن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ارتفع من مكة إلى ما فوق الفلك الأعظم فهو لم يتحرك إلا بمقدار نصف القطر فلما حصل في ذلك القدر من الزمان حركة نصف الدور فكان حصول الحركة بمقدار نصف القطر أولى بالإمكان، فهذا برهان قاطع على أن الارتقاء من مكة إلى ما فوق العرش في مقدار ثلث من الليل أمر ممكن في نفسه وإذا كان كذلك كان حصوله في كل الليل أولى بالإمكان والله أعلم.

الوجه الثاني: وهو أنه ثبت في الهندسة أن قرص الشمس يساوي كرة الأرض مائة وستين وكذا مرة ثم إنّا نشاهد أن طلوع القرص يحصل في زمان لطيف سريع وذلك يدل على أن بلوغ الحركة في السرعة إلى الحدّ المذكور أمر ممكن في نفسه.

الوجه الثالث: أنه جاء في القرآن أن الرياح كانت تسير بسليمان عليه الصلاة والسلام إلى المواضع البعيدة في الأوقات القليلة. قال تعالى في صفة مسير سليمان

عليه الصلاة والسلام: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سَبأ: الآية 12]، بل نقول: الحسّ يدل على أن الرياح تنتقل عند شدة هبوبها من مكان إلى مكان في غاية البُعْد في اللحظة الواحدة وذلك أيضًا يدلّ على أن مثل هذه الحركة السريعة في نفسها ممكنة.

الوجه الرابع: أن القرآن يدلّ على أن الذي عنده علم من الكتاب أحضر عرش بلقيس من أقصى اليمن إلى أقصى الشام في مقدار لمح البصر بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النَّمل: الآية 40]، وإذا كان ممكنًا في حق بعض الناس علمنا أنه في نفسه ممكن الوجود.

الوجه الخامس: أن من الناس مَن يقول الحيوان إنما يبصر المبصرات لأجل أن الشعاع يخرج من عينيه ويتصل بالمبصر ثم إنّا إذا فتحنا العين ونظرنا إلى رجل رأيناه، فعلى قول هؤلاء انتقل شعاع العين من أبصارنا إلى رجل في تلك اللحظة اللطيفة وذلك يدلّ على أن الحركة الواقعة على هذا الحدّ من السرعة من الممكنات لا من الممتنعات، فثبت بهذه الوجوه أن حصول الحركة المنتهية في السرعة إلى هذا الحد أمر ممكن الوجود في نفسه). انتهى باختصار.

فتبارك الله أحسن الخالقين وقل ربِّ زدني علمًا ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسرَاء: الآية 85].

* * *

عمِّر اللَّهمَّ قلوبَنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهَدي والرَّشاد وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصاف الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللَّهمَّ وسَلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

* * *

الزمرّدة الثالثة

في أن السبب الثالث من أسباب الإسراء والمعراج هو فرض الصلاة

الصلاة كما قال سيِّدنا الوالد في الحكم القدسية هي طبّ رحيمي، يفرّق به الإنسان بين اللذائذ البسيطة، واللذائذ المركبة، واللذات المنقطعة، واللذات الموصولة، واللذات السريعة الاضمحلال، واللذات الغير المنقطع أثرها. لو تمّ للروح التيقّظ لعلمت أن الصلاة انقطاع عن الحسّ والتقييد ووصلة بالعالم الروحي، وانسلاخ عن جلابيب البشريات واعتلاق بمجاورة الرحمٰن، واعتناق لمفارقة الأكوان الصلاة معراج المؤمن، وصيقل للروح مما أصابها من صدى مجاورة الأكدار، ومرآة تنطبع فيها صور هدايا الحق سبحانه لك، ومفارقة للرسوم الكونية، ومحو للنقوش الغيرية وإلباس للخطايا الودودية، وإعلام بما لك عنده مع إعراضك وعصيانك، ومزهدة في المفارقات، ومشوقة للذات الجنات، ومقوِّية لفنون المشاهدات، وهادية لأنواع المناجاة، وفاتحة لأبواب الولايات، ومانحة أسرار المواجهات، واقتطاع عن المفصولات والموصولات، وخلوة بعرائس الدنو والاقترابات، ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العَلق: الآية 19].

والكلام على أسرار فرائضها وسُننها طويل، تكفّل بذكر جملة منها سيِّدنا الوالِد في حِكَمه المذكورة غير أننا إذا أردنا أن نتحدّث عن القرآن الذي نطالب بقراءة آيات منه نجد أننا:

تارة نقرأ آيات مشتملة على مواد من الدستور العسكري.

وأخرى نقرأ آيات مشتملة على مواد من القانون الجنائي.

وطورًا نقرأ آيات مشتملة على مواد من القانون المدني.

ومرة نقرأ آيات مشتملة على بنود من الدستور الطبي.

ووقتًا نقرأ آيات مشتملة على بنود من الدستور الأخلاقي.

وزمنًا نقرأ آيات مشتملة على بنود من الدستور الهندسي.

وهكذا راجعوا كتب: الله والعلم الحديث والقرآن والعلم الحديث والإسلام والعلم الحديث للأستاذ عبد الرزاق نوفل المصري جزاه الله خيرًا تستفيدوا علمًا جمًّا.

ولمّا كانت الصلاة بهذه المثابة استدعى الله تعالى عبده صلّى الله عليه وآله وسلّم ليبلغه مباشرة أنه فرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة في اليوم والليلة مباشرة ويكون هذا الإبلاغ وسيلة للتردّد بينه وبين سيّدنا موسى عليه الصلاة والسلام الذي كان في السماء السادسة وطلب من نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يرجع إلى ربّه سائلاً التخفيف على هذه الأمة المحمدية ذلك التردّد الذي كان سببًا في مزيد من العلم للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ومزيد من المُناجاة ومزيد من التمتّع بالرؤية اليقظية ومزيد أيضًا من التخقيف على الأمة المحمدية تخفيفًا انحدر إلى خمس صلوات في الفعل وبقي في مستوى خمسين في الأجْر وصدق الله ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [قَ: الآية 29].

* * *

عمِّر اللّهمَّ قلوبَنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهَدي والرَّشاد وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصاف الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللّهمَّ وسَلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

* * *

الياقوتة الأولى

في الإسراء ومشاهده

صلَّى الله عليه وآله وسلّم أثناءه

أخرج البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلّم حدَّثهم عن ليلة أُسْرِيَ به فقال:

«بينما أنا نائم في الحطيم ـ وربما قال في الحجر ـ مضطجعًا إذ أتاني آتٍ فشقَّ بين هذه إلى هذه أي من ثغرة نحره إلى شعرته ـ فاستخرج قلبي ثم أُتِيت بطست من ذهب مملوءة إيمانًا فغُسل ثم حُشِي ثم أُعيد» ـ. وفي رواية: «ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب مملوءة حكمة وإيمانًا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أُتِيت بدابَّة دون البغل وفوق الحمار أبيض» ـ قال أنس هو البراق ـ «يضع خطوه عند أقصى طرفه فحُمِلت عليه فانطلق جبريل حتى أتى السماء الدّنيا».

وهو صدر حديث طويل سيأتي بعد إن شاء الله تعالى.

وأخرج الطبراني والبزار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلّم مرَّ على قوم يزرعون ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل عليه السلام: ما هذا؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تُضاعَف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: الآية 39]، ثم أتى على قوم تُرْضَخ رؤوسهم بالصخر كلما رُضِخَت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء. فقال ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة. ثم أتى على قوم على أقبالهم رِقاع وعلى أدبارهم رِقاع يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الضريع والزقّوم ورضف جهنم، فقال: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدّون زكاة أموالهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية 117]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: الآية 46]. ثم أتى على

قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ولحم نيء في قدر خبيث فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج، فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أُمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيّبًا فتأتي رجلاً خبيثًا فتبيت عنده حتى تصبح. ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها. ثم أتى على قوم تُقرَض ألسنتهم وشِفاههم بمقاريض من حديد كلما قُرِضَت عادت كما كانت لا يفترِ عنهم من ذلك شيء، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة. ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها. ثم أتى على وادٍ فوجد منه ريحًا طيبة باردة وريح مسك فسمع صوتًا، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوت الجنة تقول ربِّ آتني بما وعدتني فقد كَثُرَت غُرَفي وإستبرقي وحريري وسُندسي وعبقري ولؤلؤي ومرجاني وفضي وذهبي وأكوابي وصِحافي وأباريقي ومراكبي وعسلي ومائي ولبني وخمري فآتني بما وعدتني، قال: لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومَن آمن بي وبرُسُلي وعمل صالحًا ولم يشرك بي شيئًا ولم يتخذ من دوني أندادًا ومَن خشيني فهو آمن ومَن سألني فقد أعطيته ومَن أقرضَني جازيته ومَن توكّل عليَّ كفيته إنني أنا الله لا إلـه إلا أنا لا أخلف الميعاد قد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين، قالت: قد رضيت. ثم أتى على وادٍ فسمع صوتًا مُنكَرًا ووجد ريحًا مُنتِنة، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوت جهنم تقول ربِّ آتِني ما وعدتني فقد كَثُرَت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي وقد بَعُدَ قعري واشتدّ حرّي فآتني بما وعدتني، قال: لك كل مُشرِك ومُشرِكة وكافر وكافرة وكل جبَّار لا يؤمن بيوم الحساب، قالت قد رضيت. فسار حتى أتى بيت المقدس.

وأخرج أحمد وغيره عن أنس قال: قال النبيّ ﷺ: «لمّا عَرَجَ بي ربّي عزَّ وجلّ مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم.

* * *

عمِّر اللّهمَّ قلوبَنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهَدي والرَّشاد وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصاف الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللّهمَّ وسَلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

* * *

الياقوتة الثانية

في خطب جمع من الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام بالمسجد الأقصى

أخرج الحافظ أبو بكر البيهقي[1]، والإمام أبو عبد الله الحاكم[2]، والإمام أبو جعفر بن جرير[3] رحمهم الله في تفسير سورة الإسراء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى صخرة ثم دخل فصلّى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل: مَن هذا معك؟ قال: محمد رسول الله خاتم النبيئين، قالوا: وقد أُرْسِل إليه؟ قال: نعم! قالوا: حيَّاه الله من أخ وخليفة فنِعْمَ الأخ ونِعْمَ الخليفة. ثم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربّهم فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

الحمد لله الذي اتخذني خليلاً وأعطاني مُلكًا عظيمًا وجعلني أمة قانتًا يُؤتَمّ به وأنقذني من النار وجعلها عليَّ بردًا وسلامًا.

ثم إن موسى عليه الصلاة والسلام أثنى على ربّه فقال:

الحمد لله الذي كلَّمني تكليمًا واصطفاني وأنزل عليَّ التوراة وجعل هلاك فرعون ونجاة بني إسرائيل على يديّ وجعل من أمتي قومًا يهدون بالحق وبه يعدلون.

---

(1) الإمام الحافظ شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي الشافعي المتوفَّى بنيسابور سنة ثمانٍ وخمسين وأربعمائة.

(2) الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع بوزن قيم ـ المتوفَّى سنة خمس وأربعمائة ـ في كتابه المستدرك على الصحيحين.

(3) الإمام الكبير أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ثم الآملي المتوفَّى ببغداد ستة عشر وثلاثمائة.

ثم إن داود عليه الصلاة والسلام أثنى على ربّه فقال:

الحمد لله الذي جعل لي مُلْكًا عظيمًا وعلّمني الزّبور وألان لي الحديد وسخّر لي الجبال يسبِّحن معي والطير وآتاني الحكمة وفصل الخطاب.

ثم إن سليمان عليه الصلاة والسلام أثنى على ربّه فقال:

الحمد لله الذي سخَّر لي الرياح وسخّر لي الشياطين يعملون ما شئت من محاريب وتماثيل وعلّمني منطق الطير وآتاني من كل شيء وسخّر لي جنود الشياطين والإنس والجن والطير وآتاني مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعدي وجعل مُلْكي مُلْكًا طيِّبًا ليس فيه حساب.

ثم إن عيسى عليه الصلاة والسلام أثنى على ربّه فقال:

الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعلني مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلّمني الكتاب والحِكمة والتوراة والإنجيل وجعلني أخلق (أي أُصَوِّر) من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله وجعلني أُبرىء الأكمه والأبرص وأُحيي الموتى بإذن الله ورفعني وطهّرني وأعاذني وأُمي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل.

وأن محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أثنى على ربه فقال: «كلّكم أثنى على ربّه وأنا أُثني على ربي: الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين، وكافّة للناس بشيرًا ونذيرًا وأنزل عليَّ الفرقان فيه تبيان كل شيء، وجعل أمتي خير أمة أُخرِجَت للناس، وجعل أُمتي أُمة وسطًا، وجعل أُمتي هم الأوّلون وهم الآخرون، وشرح لي صدري، ووضع عنّي وِزْري، ورفع لي ذِكري، وجعلني فاتِحًا وخاتمًا».

فقال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد!.

* * *

عمِّر اللَّهمَّ قلوبَنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهَدي والرَّشاد وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصاف الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللَّهمَّ وسَلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

* * *

الياقوتة الثالثة

في تفسير قوله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: الآية 1]

قال سبحانه وتعالى في طالعة سورة الإسراء التي نزلت بمكة إلا بضع آيات منها:

بسم الله الرحمـٰن الرحيم ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: الآية 1]. صدق الله العظيم.

﴿سُبْحَانَ﴾ اسم علم للتسبيح، والتسبيح هو المصدر، يقال سبّحت الله تسبيحًا وسبحانًا وهو على وزن فعلان.

والتسبيح في اللغة له معانٍ عديدة:

أولها: تنزيه الله سبحانه عن كل سوء وبُعْده عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ [المزمّل: الآية 7]، أي ذهابًا وإبعادًا في الأرض.

ثانيها: أنه يكون بمعنى الصلاة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ﴾ [الصّافات: الآية 143] ـ أي يونس بن متّى ـ ﴿كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤﴾ [الصافات: الآيتان 143، 144]، ومنه ما ورد في السُّنَّة من تسمية صلاة الضحى بالسُّبحة[1].

وثالثها: أنه ورد بمعنى الاستثناء، ومنه قوله تعالى ـ في الحديث عن أصحاب البستان الذين امتحنهم بإحراق البستان الذي ورثوه عن أبيهم ـ: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٧ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝١٨﴾ [القلم: الآيتان 17، 18] ليقطّعن الثمار منه في صباح مبكر خوفًا من

لحاق المساكين بهم وأخذ حقهم منه ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القَلَم: الآية 28] ـ رأيًا أو سِنًّا ـ ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القَلَم: الآية 28] أي تستثنون ـ بأن تقولوا: إن شاء الله، فسُمِّي الاستثناء تسبيحًا لتشاركهما في التعظيم أو لأنه تنزيه عن أن يجري في مُلكه ما لا يريده.

رابعها: أنه أورد بمعنى النور لقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الحديث: «لأحرقت سبحات وجهه ما أدركت من شيء»[1]. قيل معناه نور وجهه.

خامسها: أنه أمر بقول سبحان الله عند رؤية شيء من صنائعه التي يتعجب منها.

والأول هو المراد هنا، والمعنى أبرىء الله وأُنزِّهه عن جميع النقائص وأعترف بقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه وأقرّ بأن اصطفاءه لعبده بالإسراء ليس إلا منتهى الحكمة والصواب.

﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾ الإسراء هو السير بالليل، وسرى وأسرى لغتان، وقال الليث: يقال أسرى لأول الليل وسرى آخره.

وإضافة سبحان إلى الموصول المذكور للإشعار بعليّة ما في حيِّز الصلاة للمضاف فإن ذلك من أدلة كمال قدرته تعالى وغاية تنزّهه عن صفات النقص.

﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ الإجماع على أن المراد بالعبد هنا نبي الإنسانية سيّدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد وصفه بالعبودية للأسباب الآتية:

1 ـ إجابة رغبته صلّى الله عليه وآله وسلّم في الطلب الذي تقدّم به إلى ربّه ليلة الإسراء لمّا قال: يا محمد بِمَ أشْرَفَك؟ قال: «يا رب بأن تنسبني إلى نفسك بالعبودية».

ومعلوم أن الوصف بالعبودية هو أفضل الأوصاف التي يفتخر بها المحبوب، قال الشاعر:

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي

---

(1) بل ورد تسمية صلاة النافلة عمومًا بالتسبيح. أخرج أحمد بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر قال رأيت رسول الله ﷺ لا يسبّح في السفر قبل الصلاة ولا بعدها. أي لا يصلي النوافل لاشتغاله بشؤون المسلمين، ومعلوم أن المسلم الذي لا شغل له أو كان شغله خفيفًا لا ينبغي له أن يحرم نفسه في السفر من ثواب نوافل الخير كيفما كانت صلاة أو غيرها.

2 ـ إشعار الخلق بأن إدراك هاته المزايا والخصائص والمعجزات التي لم يدركها أحد من الأنبياء والمُرسَلين لا يخرج صاحبها عن العبودية.

3 ـ سدّ باب الغلوّ فيه صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى لا يقع للمسلمين ما وقع للنصارى في نبيِّهم حيث قالوا المسيح ابن الله، ولليهود في أحد أنبيائهم أو صالِحِيهم حيث قالوا عنه عزيرًا ابن الله.

وكلمة عبد تدلّ دلالة واضحة على أن الإسراء كان بجسده صلّى الله عليه وآله وسلّم وروحه لأن العبد اسم لمجموع الجسد والروح، ولو كان بالروح فقط لما حَظِيَ بكبير اهتمام من لَدُن كفّار مكة وعلماء الدنيا ومثقفيها من زمنه صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الآن.

﴿لَيْلًا﴾ ظرف لأسرى ونكرة للدلالة على تقليل مدة الإسراء من مكة إلى الشام التي هي مسيرة أربعين ليلة، وأنها بعض من أجزاء الليل.

وقد تمّت هذه المعجزة الكبرى ليلة الاثنين أو الجمعة السابع والعشرين من شهر ربيع الأول أو شهر رجب الفرد قبل الهجرة بسنة. وهي أفضل من ليلة القدر كما ذهب إليه الجمهور.

والسر في كون الإسراء كان ليلاً أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم سراج والسراج لا يُوقَد إلا ليلاً، وبدر والبدر لا يسير إلا في الظلم.

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وهو مسجد مكة المكرّمة أول بيت وُضِع للناس مباركًا وهدى للعالمين فيه آيات بيِّنات. وأول المساجد التي لا تُشَدُّ الرِّحال إلا لها بقصد الصلاة وطاف به جميع الأنبياء والمُرسَلين، والأعمال الصالحة، وفي طليعتها الصلاة تُضاعَف فيه إلى مائة ألف، وسبعون ألفًا من الملائكة صباحًا ومثلهم مساء يطوفون به كل يوم.

﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ وقع الاتفاق على أن المراد منه بيت المقدس وسُمِّي بالأقصى لبُعْد المسافة بينه وبين المسجد الحرام، وهو ثاني المساجد المشيدة في الأرض أولاً، ولم يكن بين المسجد الحرام وبينه إلا أربعون سنة. وهو ثالث المساجد التي لا تُشَدُّ الرِّحال إلا لها إذ الثاني هو مسجد النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم. وقد أسّس المسجد الأقصى سيّدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام بعد بناء سيّدنا إبراهيم الكعبة. وهو رابع المساجد التي يُمنَع الدجّال من دخولها، إذ الأول هو

المسجد الحرام. والثاني هو المسجد النبوي الذي تُضاعَف فيه الصلاة بألفين ـ كما في مسند الإمام أحمد ـ وكذلك الأعمال الصالحة. والثالث مسجد الطور كما في حديث أخرجه أحمد في المسند أيضًا. والأعمال الصالحة تُضاعَف فيه بألف وأولها الصلاة كما في الأحاديث الصحيحة. وهو مُتَعَبَّد آلاف من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

* * *

عمِّر اللَّهمَّ قلوبَنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهَدي والرَّشاد وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصاف الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللَّهمَّ وسَلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

* * *

الياقوتة الرابعة

في تفسير قوله تعالى:
﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

[الإسرَاء: الآية 1]

البركة هنا لها معنيان؛ معنى حسّيّ ومعنى معنوي، فالحسّيّ هو كثرة الأنهار والأشجار والأزهار الموجودة حوله والتي تكون سببًا في الازدهار الاقتصادي لسكّان فلسطين ازدهارًا يضمن لهم سعادتهم ورفاهيتهم ويلفت أنظار الناس إليهم.

والمعنوي وهو كونه كان مُتَعَبَّدًا للآلاف من الأنبياء والمُرسَلين وأتباعهم من المؤمنين الصادقين وكل واحد منهم ترك فيه طاقة روحية كبيرة يشعر بها كل زائر له.

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾ الآيات التي أراها الله له صلّى الله عليه وآله وسلّم كثيرة لا يمكن أن تُعَدّ. ويكفي أن أذكر منها:

1 ـ البُراق الذي ركب عليه.

2 ـ يثرب التي سيهاجر إليها.

3 ـ مدينة مَدين.

4 ـ بيت لحم حيث وُلِدَ عيسى عليه الصلاة والسلام.

5 ـ رؤيته إبليس اللعين.

6 ـ رؤيته للعجوز التي ترمز إلى ما بقي من عمر الدنيا.

7 ـ جمعًا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

8 ـ كيفية مضاعفة حسنات المجاهدين.

9 ـ كيفية عذاب الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة.

10 ـ كيفية عذاب مانِعِي الزكاة.

11 ـ أمثلة ناطِقة للزناة.

12 ـ كيفية عذاب خطباء الفتنة.

13 ـ كيفية عذاب المُلحِدين.

14 ـ صوت الجنة وكلامها.

15 ـ صوت النار وكلامها.

16 ـ اجتماع الأنبياء ببيت المقدس، وخطبهم، وانتهاء دور الخطابة بخطابه عليه الصلاة والسلام.

وستأتي آيات أخرى في تفسير طالعة سورة النجم إن شاء الله تعالى.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ إنه سبحانه وتعالى هو السميع لأقوال محمد صلَّى الله عليه وآله وسلّم الجامِعَة لكل خير ديني ودنيوي وبرزخي وأُخروي، والواضعة لجميع الأنظمة الكفيلة بسعادة البشر الداعية لاستعمال العقل البشري فيما خلق له من التفكير في نفسه وفي مخلوقات الله البصير بأفعاله التي تعطي المثالية الحقّة لكل إنسان تطمح نفسه لإدراك السموّ في جميع مناحي الحياة.

أو تقول إنه سبحانه هو السميع لما يقوله الكفّار عن الإسراء من أقاويل باطلة حملهم عليها كفرهم وعدم معرفتهم بقدر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلّم وضيق أُفقهم وكثرة جهلهم.

وسيأتي ذكر جملة منها إن شاء الله تعالى.

﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ بما يعملون في هذه الواقعة من مكر وكيد وسيعاقبهم على ذلك عقابًا شديدًا في الدنيا والآخرة، إلا مَن تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا.

هذا مجمل لتفسير آيات الإسراء مستمد من تفاسير الأئمة الأجلاّء الرازي[1] والشوكاني[2] والألوسي[3] رحمهم الله.

* * *

(1) أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين الرازي القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب المتوفَّى بهراة في يوم الاثنين أول يوم من شوّال سنة ست وستمائة.

(2) المفسر المحدّث القاضي محمد بن علي الشوكاني اليمني المتوفَّى سنة خمس وخمسين ومائتين وألف.

(3) أُعجوبة النوع الإنساني ومفخرة العراق أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي المتوفَّى سنة سبعين ومائتين وألف.

عمِّر اللَّهمَّ قلوبَنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهَدي والرَّشاد وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصاف الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللَّهمَّ وسَلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

* * *

الياقوتة الخامسة

في المعراج
ومشاهده صلَّى الله عليه وآله وسلّم أثناءه

أخرج البخاري عن قتادة عن أنس بن مالك أنه صلَّى الله عليه وآله وسلّم قال - في الحديث الذي تقدّم صدره -: «فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل، قال: ومَن معك؟ قال: محمد! قيل: وقد أُرْسِل إليه؟! قال: نعم! قيل: مرحبًا به فنِعْمَ المجيء جاء. ففتح، فلما خلصت فإذا فيها آدم، قال: هذا أبوك آدم فسلِّم عليه، فسلّمت عليه فردّ السلام، ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرْسِل إليه؟! قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنِعْمَ المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا يحيىٰ وعيسى - وهما ابنا الخالة - قال: هذا يحيىٰ وعيسى فسلِّم عليهما، فسلّمت فردّا ثم قالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرْسِل إليه؟! قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنِعْمَ المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلِّم عليه فسلّمت عليه فردّ ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرْسِل إليه؟! قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنِعْمَ المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلّم عليه، فسلّمت عليه فردّ ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرْسِل إليه؟! قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنِعْمَ المجيء

جاء. فلما خلصت فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلّم عليه، فسلّمت عليه فردّ ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرْسِل إليه؟! قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنِعْمَ المجيء جاء. فلما خلصت فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلِّم عليه، فسلَّمت عليه فردّ ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. فلما تجاوزت بكى، قيل له: وما يُبكيك؟ قال: أبكي لأن غلامًا بُعِثَ بعدي يدخل الجنة من أُمته أكثر ممّن يدخلها من أمتي. ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرْسِل إليه؟! قال: نعم، قال: مرحبًا به فنِعْمَ المجيء جاء. فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك إبراهيم فسلِّم عليه، قال: فسلّمت عليه فردّ السلام، فقال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رُفِعْتُ إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قِلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهر فالنيل والفرات ثم رُفِعَ لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك. ثم أُتِيتُ بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك. ثم فُرِضَت عليّ الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال: بِمَ أُمِرْت؟ قلت: أُمِرْت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جرَّبت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأُمرت بعشر صلوات، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأُمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جرّبت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم، قال فلما جاوزت ناداني مُنادٍ: أمضيت فريضتي وخفّفت عن عبادي».

وأخرج الإمام مسلم رحمه الله عن أنس أيضًا، أن الله سبحانه قال للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلة الإسراء: «ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كُتِبَت له حسنة فإن

عملها كُتِبَت له عشرًا، ومَن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تُكتَب شيئًا فإن عملها كُتِبَت سيئة واحدة».

* * *

عمِّر اللَّهمَّ قلوبَنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهَدي والرَّشاد وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصاف الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللَّهمَّ وسَلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

* * *

الياقوتة السادسة

في رؤية النبي صلَّى الله عليه وآله وسلّم لربّه سبحانه ليلة الإسراء

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: الآية 11] أي بعينيه إذ لا يقال ما كذب الفؤاد ما رأى بقلبه فالمعنى ما اعتقد قلب محمد خلاف ما رأى ببصره. كذا في شرح الشفا للشيخ علي ابن سلطان محمد القاري رحمه الله.

وروى شريك في تفسير هذه الآية عن أبي ذر رضي الله عنه قال: رأى صلَّى الله عليه وآله وسلّم ربّه.

وأخرج البخاري عن أنس بن مالك في حديث الإسراء الطويل ودنا الجبار ربّ العزّة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله إليه فيما يوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة.

وأخرج الحاكم والنسائي والطبراني أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله اختصّ موسى بالكلام وإبراهيم بالخلّة ومحمدًا بالرؤية.

وذكر إمام المغازي محمد بن إسحٰق بن يسار رحمه الله عن عبد الله بن أبي سلمة أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهم يسأله، هل رأى محمد ربّه؟ قال: نعم.

وحُكِيَ أيضًا أن مروان بن عبد الحكم القرشي الأموي سأل أبا هريرة رضي الله عنه، هل رأى محمد ربّه؟ قال: نعم.

وحكى الحافظ الكبير عبد الرزاق بن همام بن رافع أن الحسن البصري كان يحلف بالله: لقد رأى محمد ربّه.

وحكى النقاش عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس بعينيه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس أحمد بن حنبل.

وذكر القاضي عِياض رحمه الله في الشفا أن الإمام أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله وجماعة من أصحابه كانوا يقولون إنه صلّى الله عليه وآله وسلّم رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه، وزاد الأشعري قائلاً(كل آية أُوتيها نبي من الأنبياء عليه الصلاة والسلام فقد أُوتي مثلها نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم وخصّ من بينهم بتفضيل الرؤية).

ومعلوم أن المسألة خلافية فكما أن هذه النصوص تثبت الرؤية فقد أتى المخالفون لها أو المتأوّلون لها بنصوص أخرى تفيد المنع.

قال القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله:

والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلاً وليس في العقل ما يحيلها.

والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى لها، ومُحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل إلا جائزًا غير مُحال ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا مَن علمه الله تعالى، فقال له الله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعرَاف: الآية 143] أي لن تطيق ولن تتحمل رؤيتي، ثم ضرب له مثالاً آخر مما أقوى من نبيّه موسى وأثبت، وهو الجبل وكل هذا ليس ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدلّ على منعها بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعَام: الآية 103] لاختلاف التأويل في الآية. ثم ذكر جملة من التأويلات ومنها قول ابن عباس: (لا تدركه الأبصار لا تحيط به) والفرق بين الرؤية والإحاطة واضح.

وزاد القاضي عياض أيضًا أنه وقع لبعض المفسّرين في الجبل أنه رأى الله تعالى وبرؤية الجبل له استدلّ مَن قال برؤية نبيّنا له سبحانه وتعالى إذ جعله دليلاً على الجواز.

راجعوا الشفاء تستفيدوا.

نعم يجب اعتقاد كون الذات العلية منزّهة عن الكمية والكيفية وسائر الجهات.

ويجب اعتقاد كون كلامه تعالى منزَّهًا عن التقديم والتأخير والإعراب واللحن والحروف والأصوات كما هو منصوص عليه في علم الكلام.

* * *

عمِّر اللَّهمَّ قلوبَنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهَدي والرَّشاد وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصاف الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللَّهمَّ وسَلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

* * *

الياقوتة السابعة

في تفسير قوله تعالى:

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: الآيات 1 – 4]

قال الله تعالى في طالعة سورة النجم المكية:

بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: الآيات 1 – 4].

تضمنت آيات المعراج الكريمة من التنويه بقدر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والدفاع عنه وإثبات أسمى الأوصاف وأشهر المعجزات له وفي طليعتها معجزة المعراج ما يعجز القلم عن التعبير عنه وإعطائه بعض ما يستحق من التفسير، غير أن ما لا يُدرَك كلّه لا يُترَك بعضه.

ثم إنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أُوذي إذاية شديدة من طرف مُشرِكي قريش أثناء تبليغه الدعوة الإسلامية التي كلّفه الله بها. ومن جملة أنواع تلك الإذاية اتّهامه باختلاق القرآن وبالكهانة والجنون وقول الشعر. فكان الله سبحانه وتعالى يتولّى الدفاع عنه بنفسه العظيمة. وبلغ صلّى الله عليه وآله وسلّم من المكانة السامية عند الله أن أنزل سورة كاملة في الدفاع عنه ومحاججة خصومه بالبراهين العقلية تلك هي سورة النجم التي كان سبب نزولها كما ذكره ابن حيان: قول المشركين إن محمدًا عليه الصلاة والسلام يختلق القرآن وقد ترك نزولها تأثيرًا كبيرًا في نفوس المشركين حملهم على السجود لله تعالى مع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم حينما قرأها ببيت الله الحرام كما روى ذلك البخاري في مواضع من صحيحه ومسلم وأبو داود والنسائي عن عبد الله رضي الله عنه ولم يتخلّف عن السجود إلا أُميّة بن خلف أو عتبة بن ربيعة، قال عبد الله: فرأيته بعد ذلك قيل كافرًا.

قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ اختلف المفسِّرون في كل ما أقسم به الله في القرآن هل هو قَسَم بذلك الشيء أو قسم بربه وبكلٍّ قال جماعة: غير أن الأظهر هنا أنه قسم بالنجم وللخالق أن يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق. والأقوال كثيرة في المراد بالنجم غير أن أظهرها أن المراد بالنجم جنس النجم المعروف؛ فإن أصله اسم جنس لكل كوكب. وأبى جمع من العلماء إلا أنه يخصّوا نجم الثريا المعروف بهذا القسم لأنه صار عَلَمًا بالغلبة عليه.

والسر في قسمه سبحانه بالنجم أن النجوم يُهتَدَى بها في ظلمات البر والبحر اهتداءً حسيًا والنبي صلَّى الله عليه وآله وسلّم يُهتَدَى به اهتداءً معنويًا. وعلى القول بأنه الثريا يكون السر هو أن الثريا أظهر النجوم عند الرائي لأن له علامة لا يلتبس معها بغيره في السماء ويظهر لكل أحد، والنبي صلَّى الله عليه وآله وسلّم تميّز عن الكل بآيات بيِّنات فأقسم به.

﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا غرب أو طلع يقال هوى يهوى كرمى يرمي هَويا بالفتح في السقوط والغروب لمشابهته له ـ وهُويا بالضم للعلو والضلوع. والثريا تسقط عادة مع الفجر وفي القسم بالنجم تشريف له وكان في العرب مَن يعبده فقرن الله بتعظيمه وصفًا يدلّ على أنه لم يبلغ درجة العبادة فإنه هاوٍ وآفِل.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ﴾ هذا هو المُقسَم به وهو شهادة الله تعالى لصاحبهم الأمين وهو رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلّم بأنه ما ضلّ عن طريق الصواب الذي خطّه له ودعاه للسير فيه وهو طريق الإسلام الذي يسعد دينًا ودُنيا ويجنِّب سالِكه طريق المغضوب عليهم وهم اليهود وطريق الضالّين وهم النصارى الذين بلغوا درجة كبرى في الجهل حملتهم على السير بغير علم في طريق الضلال، وطريق الضلال مستحيلة في حق رُسُل الله وأنبيائه ولا يسلكها إلا الجاهلون الذين يسيرون بغير علم.

﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ معطوف على ما ضلّ، أي وما انحرف عن طريق الحق لأنه العالِم الأكبر الذي جُمِعَت له علوم الأوّلين والآخرين وخصّصته بما لم أُخصِّص به أحدًا من أنبيائي ورُسُلي وزيّنت علمه بالتواضع وطهّرته من جميع أنواع الكِبْر ومظاهر الرياء فلم يكن للغواية عليه سبيل، بل الغواية مستحيلة في حقه وحق إخوانه من النبيئين والمُرسَلين، وكيف تتصور الغواية في حقهم وهي لا تصدر إلا عن العالِمين بالحق العادِلين عنه قصدًا إلى غيره نتيجة لا اعتقاد فاسد.

ولكي يبرهن سبحانه على عظمة الإسلام وعدم خروج نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم عن دائرة الاستقامة في جميع أقواله وأفعاله قال:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ فاعل ينطق عن ضمير منفصل راجع إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي هو صاحبهم والهوى هو الغرض وإن نافية بمعنى ما، أي ما الذي ينطق به من القرآن ومن الأحاديث القدسية ومن العلوم والمعارف والحِكَم والآداب والأنظمة والقوانين التي لا تتيسّر لمَن بلغ النهاية في العلم وعاشر علماء الدنيا وحكماءها وملوكها وقادتها من أول الدنيا إلى آخرها إلا وحي من الله عزّ وجلّ يوحيه إليه.

أخرج أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول:

«إنما أقول ما أقول»

وهو عجز حديث.

نعم، ترك الله سبحانه لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم باب الاجتهاد مفتوحًا لأن عقله الشريف يرجح عقول جميع المخلوقات.

* * *

عمِّر اللّهمَّ قلوبَنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهَدي والرَّشاد وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصاف الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللّهمَّ وسَلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

* * *

الياقوتة الثامنة

في تفسير قوله تعالى:

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾

[النجم : الآيات 5 – 10]

قال تعالى:

﴿عَلَّمَهُۥ﴾ أي علّم محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلّم القرآن فعلم تعدّت إلى مفعولين.

﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ هو جبريل عليه السلام الواسِطة بين الله وبين أنبيائه ورُسُله. والمراد بالقوى هنا القوى العقلية والعملية.

قال الألوسي: وناهيك دليلاً على شدة قوّته أنه قلع قرى لوط من الماء الأسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها، وصاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين، وكان هبوطه على الأنبياء عليهم السلام وصعوده في أسرع من رجعة الطرف فهو أسرع من حركة ضياء الشمس.

وتعليم الله للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلّم كان بواسطة جبريل ثم كان من غير واسطة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [النَّمل: الآية 6] وكما وقع ليلة المعراج حينما تأخر جبريل قائلاً: لو زدت قدمًا لاحترقت.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي شدة في جسمه أو ذو حصافة واستحكام في العقل أو ذو حكمة لأن كلام الحكماء متين أو ذو منظر حَسَن أو ذو خلق حَسَن، وحيث إن هٰهنا سؤالاً مقدّرًا وهو: هل رأى محمد صلَّى الله عليه وآله وسلّم جبريل على صورته الحقيقية؟ فقد أجاب سبحانه وتعالى عنه بقوله:

﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ أي محمد صلَّى الله عليه وآله وسلّم وهو بالمكان العالي رتبة ومنزلة عند الله تعالى ليلة المعراج أو تقول إن الضمير راجع إلى جبريل أي فاستقام

جبريل على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها ليراه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلة المعراج، وهي صورة مشتملة على ستمائة جناح كل جناح منها يسدّ الأفق، كما في حديث أخرجه أحمد وعبد بن حميد وجماعة عن ابن مسعود.

﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ الضمير المنفصل إما أن يكون عائدًا على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أو على جبريل عليه السلام فعلى الأول يكون المراد بالأفق الأعلى المكانة العالية رتبة ومنزلة عند الله تعالى وعلى الثاني يكون المراد به المكان الذي يأتي منه الصبح.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ الضمير إما أن يكون راجعًا إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فيكون دنوّه دنوّ منزلة أو يكون راجعًا إلى جبريل عليه السلام أي دنا جبريل من النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بمعنى قرب.

﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ فقرب الحق سبحانه من عبده محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم أو فتدلى أي نزل جبريل إلى محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

﴿فَكَانَ﴾ أي محمد من ربّه أو جبريل من محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قاب قوسين قدر قوسين من قِسِي العرب والقاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن نصف أصبع أو ذراعين، والقوس ما يُرمَى به، وأصله كما قال علماء التفسير واللفظ للبغوي (أن الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك أنهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه).

ومعنى الآية كما قال الضحاك رحمه الله دنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم من ربّه فتدلّى فأهوى إلى السجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى أي أو أقرب من ذلك إفادة لشدة القُرْب.

وقالت عائشة وغيرها: دنا جبريل إلى محمد عليه الصلاة والسلام فكان قاب قوسين أو أدنى.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ أي أوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى إليه للتفخيم والتعظيم، وما من صيغ العموم فتفيد أن أنواع الوحي المُوحَى بها للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يمكن أن يحيط بها مَلَك مُقَرَّب ولا نبي مرسل لأن علوم الكون وأنظمته علمت في هاته الليلة للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وناهيكم بها من

علوم وأنظمة لم يحط بها أحد من عباد الله، وقد أعربت بعض الأحاديث عن بعضها كفرض الصلاة وإخباره صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه لا يدخل الجنة أحد من الأنبياء قبله وأنه لا تدخل الجنة أُمة قبل أُمته وتخصيصه بالاسم الأعظم وتشريفه بحوض الكوثر واتخاذه حبيبًا وتخصيص أُمته بكثير من أنواع الخصائص العظمى، ويكفي في هذا الموضوع ما فاه به صلّى الله عليه وآله وسلّم من علوم ومعارف أبهرت وتبهر عقول رجالات الدنيا ومُفَكِّريها من عصره إلى الآن.

***

عمِّر اللَّهمَّ قلوبَنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهَدي والرَّشاد وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصاف الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللَّهمَّ وسَلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

***

الياقوتة التاسعة

في تفسير قوله تعالى:

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

[النجم: الآيات 11 – 18]

قال تعالى:

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ أي ما كذب فؤاد محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ما رأى من الحق سبحانه ومن جبريل ومن الآيات العجيبة لأنه عرف بقلبه ما رأى ببصره.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ المراد هو المجادلة واشتقاقه من مرأى الناقة إذا مسح ظهرها وضرعها لتُخرِج لبنها وتدرّ به، فشبّه به الجدال لأن كلًّا من المتجادلين يطلب الوقوف على ما عند الآخر ليلزمه الحجة. فكأنه يستخرج درّه، والمعنى أفتجادلونه يا معشر كفّار مكة ويا مُلحِدِي مختلف العصور على ما يراه معاينة مع أنه رأى بعين اليقين لأن الشك ينعدم بعد الرؤية فما لكم تكذِّبونه وتريدون تعجيزه.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ أي رأى محمد الله تعالى نزلة أخرى أثناء تردّده بينه تعالى وبين موسى عليهما الصلاة والسلام أو رأى محمد جبريل مرة أخرى على صورته الحقيقية نازِلاً من السماء نزلة أخرى ورآه في النزلات الأخرى في الصنوز التي كان يأتيه عليها.

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ شجرة نبق في السماء السابعة أو السادسة عن يمين العرش نبقها كقلال هجر وأوراقها مثل آذان الفيلة يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا لا يقطعها وإليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط منها من فوقها فيفيض منها كما في عدة أحاديث صحيحة أي وأن محمدًا رأى الحق

عمِّر اللَّهمَّ قلوبَنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهَدي والرَّشاد وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصاف الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللَّهمَّ وسَلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

* * *

الياقوتة العاشرة

في أثر الإسراء والمعراج في نفوس المشركين ومحاولتهم تعجيزه صلَّى الله عليه وآله وسلّم وبوّأهم بالفشل

رجع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من معراجه إلى المسجد الأقصى ومنه إلى المسجد الحرام فبيت مولاتنا خديجة الكبرى أُم المؤمنين رضي الله عنها فلما أصبح الصباح وحدّث بذلك أهل مكة كان تعجّب المشركين من إسرائه ومعراجه شديد، بل كذّبوه وسخروا منه، ومنهم مَن قام بأدوار خطيرة استطاع بها أن يزعزع جمعًا من المسلمين عن إيمانهم، ولكي يُعجِزوه عليه الصلاة والسلام ويبرهنوا لأصدقائهم عن كذبه وجّهوا إليه الأسئلة الآتية:

1 ـ ما علامة ما تقول.

2 ـ كيف بناء بيت المقدس وهيأته وكيف قُربه من الجبل.

3 ـ هل كان فيمن حضر معك موسى وعيسى؟

فأجاب صلّى الله عليه وآله وسلّم عن السؤال الأول بقوله:

مررت بعير لقريش وهي في مكان كذا وكذا فنفرت الإبل منّا واستدارت وفيها بعير عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فصرع فانكسر، فلما قَدِمَت العير سألوهم فأخبروهم الخبر على مثل ما حدّثهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، أخرجه ابن أبي حاتم عن أنس، وأخرجه البيهقي بألفاظ قريبة من هذه.

وأجاب عن السؤال الثاني بقوله:

بناؤه كذا وكذا وهيأته كذا وكذا وقربه من الجبل كذا وكذا، قال هذا بعد أن رفع الله له بيت المقدس من مقعده فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته، أخرجه البيهقي في دلائل النبوّة وابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري.

وأخرج البخاري ومسلم وأحمد عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول:

لمّا كذّبتني قريش حين أُسْرِيَ بي إلى بيت المقدس فنمت في الحجر فجلّى الله لي بيت المقدس أي كشف الحُجُب بيني وبينه حتى رأيته.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «فسألوني عن أشياء لم أثبتها فكربت كربًا شديدًا لم أكرب مثله قطّ فرفعه الله إليّ أنظر إليه، ما سألوني عن شيء إلا أنبأتهم به».

وأخرج أحمد والنسائي والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال:

«فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وُضِعَ دون دار عقيل فنعتّه وأنا أنظر إليه».

وأجاب عن السؤال الثالث بقوله:

«نعم، قالوا: فصِفهم لنا، قال: نعم! أما موسى فرجل آدم كأنه من رجال أزد عمان، وأما عيسى فرجل ربعة سبط تعلوه حمرة كأنما يتحادر من شعره الجمان». أخرجه ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك[1].

كما وُجِّهَت إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم أسئلة من الصحابة رضوان الله عليهم، منها سؤال بعضهم عن الدجال، فقال عليه الصلاة والسلام: «رأيته فيلمانيًا أقمر هجانًا إحدى عينيه قائمة كأنه كوكب درّي كأن شعر رأسه أغصان شجرة».

أخرجه أحمد والنسائي عن ابن عباس.

كما أن جمعًا من المشركين هرعوا إلى أبي بكر رضي الله عنه قائلين هل لك في صاحبك يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة؟ فقال أبو بكر: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم! قال: فأنا أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا: فتصدّقه في أن يأتي الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح؟ قال: نعم! أنا أصدقه أبعد من ذلك! أصدّقه بخبر السماء.

---

(1) وأخرج البيهقي عن ابن عباس مرفوعًا: رأيت ليلة أُسْرِيَ بي موسى بن عمران رجلاً طوالاً جعدًا كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى ابن مريم عليه السلام مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس. وشنوءة اسم قبيلة من اليمن.

قال أبو سلمة: فيها سُمِّي أبو بكر الصدِّيق.

أخرجه أحمد عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله.

* * *

عمِّر اللَّهمَّ قلوبَنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهَدي والرَّشاد وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصاف الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللَّهمَّ وسَلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

* * *

الياقوتة الحادية عشرة

في الإشادة

بالهدي المحمدي وقصّتي الإسراء والمعراج

نظـمًـــــا

حُبِّب إليَّ أن أختم هذا الكتاب بقصيدة رائية أنشأتها في الإشادة بالهدي النبوي وقصّتيّ الإسراء والمعراج، وهذا نصّها:

سـرى الـشـوق فـي الأحـشـاء يـرتـقـب الـبـشـرى
وذاع لـهـيـب الـوجـد يـقـتـبـل الـذكـرى

تـحـقَّـقـت الآمـال فـي بـيـت ربّـنـا
تـشـجّـع أصـنـاف الـكـمـال لـتـنـشـرا

مـواهـب تـبـيـان الـرسـول الـذي هـدى
أُهَـيـل الـورى طـرًّا وقـد جـبـر الـكـسـرا

عـلـقـت بـهـدي الـمـصـطـفـى إذ أتـت بـه
قـوامـيـس عـرفـان الـوصـال الـذي جـرى

وصـرت شـغـوفًـا بـالـهـدايـة دائـمًـا
أخـوض مـيـاديـن الـعـلـوم الـتـي تـقـرا

أؤيِّـد آفـاق الـهـدايـة كـلـهـا
وأنـشـرهـا فـي كـل نـادٍ مـن الـغـبـرا

تـلألأ نـور الـعـلـم واتّـسـعـت بـه
مـدارك أهـل الـديـن تـكـتـسـب الـفـخـرا

وهـام ذَوو الأقـدار فـي بـسـط الـرضـى
وغـاب أُولـو الأشـرار واخـتـلـقـوا عـذرا

وجـاء ذَو الإفـضـال مـن كـل وجـهـة
وفـاح رِيـاض الـعـلـم يـقـتـبـل الـنـشـرا
وقـال بـشـيـر الـحـق هـا نـحـن نـرتـجـي
وصـول فـتـوح الـعـلـم نـقـتـبـس الـطّـهـرا
هـيـامًـا بـتـلـك الـفـائـضـات لأنـنـا
نـروم اهـتـداء بـالـعـلـوم وبـالأحـرى
غـرامًـا بـتـلـك الـراقـيـات لأنـهـا
تـؤهِّـل لـلإسـعـاد فـي الـنّـزلـة الأخـرى
عـلامـة حـبّ الله فـيـض مـواهـب
تـبـلـغ لـلـحـسـنـى وتـنـزّلـنـا الـصـدرا
كـمـا لـذَّ لـلإنـسـان فـي بـسـط الـمـنـى
هـيـام بـإكـمـال لـيـرفـعـه قـدرا
وإنـي غـرثـان وشـوقـي كـامـل
وحـبّـي مـوصـول وأنـتـظـر الـبـرا
عـلـيـك بـهـدي الـمـصـطـفـى مـعـدن الـهـدى
تـفـوز بـنـور الـحـق تـكـتـسـب الأجـرا
وتـحـظـى بـوبـل الـفـيـض فـي كـل مـوطـن
وتـرفـل فـي الـعـرفـان جـهـرًا كـذا سَـرًا
تـمـتّـع بـعـلـم الـمـرتـضـى يـا أخـا الـهـدى
وكـن واثـقًـا بـالـفـوز مـن حـيـث لا يـدرى
رسـول الـهـدى رقـى الـعـوالـم كـلـهـا
بـهـدي وتـبـيـيـن وقـد أرشـد الـغـمـرا
ونـوّر أفـكـار الـذيـن بـه اهـتـدوا
ونـجّـى مـن الأخـطـاء قـد نـوَّر الـفِـكـرا
فـألـقـى لـهـا الـرشـد الـجـلـيـل بـعـزمـه
وأسـدى لـهـا الإسـعـاد فـي الـسـاحـة الـكـبـرى
فـهـدى قـلـوب الـعـاشـقـيـن جـنـابـه
بـحـبٍّ وتـهـيـام أُنـيـلـوا بـه نـصـرا

وهاموا بأنباء المعارج جَهْرة
وتاهوا بإسراء الذي قصم الكُفَرا
فصاروا بحق ناشرين علومه
وفازوا بتقريب الذي برأ الثَّرى
فحذ قصة الإسراء شوقًا أخا الهدى
وأيّد رسول الله والتزم السَّيرا
وكن مخلصًا للحق جلّ جلاله
تصر مولعًا بالرّشد وانتظر الفجرا
ودُم ناشر الدين الحنيف بهمّة
تفُز بِرضى الرَّحمٰن وارتقب البُشرى
وجُل هذه الآفاق وارْقَ لأوجها
لتهدي إلى العليا وتغتنم العُمرا
وأيّد علوم المُجتَبَى بتمعّن
وصُن سرّه حقًّا وكن متدثّرا
بثوب الهدى قد أشرقت جنباته
وطهرت الأحشاء فامتلأت بُشرى
فخُذ قصة الإسراء يبهرك نورها
وتشرّف بمنهاج العلوم وحُز فخرا
فيا حُسنها من قصة قرشية
تسود بأنفاس الرسول وبالذكرى
وتطرب أهل العلم والدين كلهم
وتنعشهم حقًّا وتمطرهم خيرا
تفتق روض العلم وازدهرت به
مواسم عرفان وأقبلت البُشرى
تفتّحت الأفنان من بحر فيضه
تؤيّد مِعراج الرسول بلا افتِرا
تعزّز آفاق العلوم وتهتدي
إلى موطن الإسعاد تكتسب السّترا

أيـا عـاشـقًـا هـذا الـنـبـي وعـلـمـه
تـأمّـل بـحـزم فـي صـنـوف الـعُـلا جَـهـرا

وكـن نـاشـرًا لـلـعـلـم فـي كـل مـوطـن
تـصـر مـولـعًـا طـبـعًـا بـنـعـمـائـه الـتـترى

تـكـمـل نـقـصـانًـا وتـدفـع لـلـهـدى
وتـبـدي لـنـا الـعـرفـان قـلا كـذا كـثـرا

أفِـض يـا إلـٰهـي مـن عـلـومـه جـدولا
يـبـلـغـنـا الآمـال دنـيـا وفـي الأخـرى

أنِـل خـاطـري شـوقًـا يـوصـل لـلـمُـنـى
ويُـكـسـبـنـا الـعـرفـان فـورًا بـلا مِـرا

هـنـيـئًـا لأهـل الـعـلـم إذ ربـحـوا بـه
وأضـحـوا هـداة الـخـلـق بـرًّا كـذا بـحـرا

وفـازوا بـنـشـر الـعـلـم حـقًّـا لأنـهـم
حُـمـاة لـديـن الله يُـسـرًا كـذا عُـسـرا

هـم نـصـروا الـمـخـتـار بـالـعـلـم والـهـدى
وأضـحـوا هُـداة الـخـلـق وارتـفـعـوا قـدرا

فـلا زال ذكـر الـمـنـتـقـى مـتـعـطـرا
مـدى الـكـون قـد صـلّـى عـلـيـه الـذي أسـرى

❊ ❊ ❊

عمِّر اللَّهمَّ قلوبَنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهَدي والرَّشاد وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصاف الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللَّهمَّ وسَلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

❊ ❊ ❊

الخـاتمة
في الالتجاء إلى الله تعالى

اللَّهمَّ إنك تعلم أن الشعوب الإسلامية قد استمرت من طرف الدول الكافرة بجميع أنواع الاستعمار، نتيجة بُعدها عن كتابك وسُنَّة نبيِّك خاتم النبيئين وسيّد الأبرار. وتعلم أن الشعوب التي أنعمت عليها بنعمة الحرية والاستقلال، لا زالت مُستَعمَرَة فكريًا ولغويًا واقتصاديًا وخلقيًا يا ذا الإكرام والجلال، فأتمم اللَّهمَّ نِعَمك على عبيدك المسلمين بتحريرهم من جميع أنواع الاستعمار، واهتدائهم بتعاليم حبيبك قطب المنازل في الإيراد والإصدار، وبناء اقتصادهم على سُنن الإسلام وشريعة خير الأنام.

اللَّهمَّ إنك تعلم أن أرض الإسراء والمعراج محتلة من طرف شرذمة من اليهود المجرمين، الذين تآمروا مع الرأسمالية والشيوعية على القضاء على الملّة والدّين، الذي ارتضيته للبشرية دينًا، وإشاعة القتل والفتن والفوضى والانحلال بين الشعوب الآمنة حينًا فحينًا. وحَبْك المؤامرات الدنيئة لاحتلال جميع البلاد العربية وإرجاع الأراضي التي كان يسكنها بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع إلى حكمهم بجوار مدينة رسول الله ـ لا قدّر الله، لا قدّر الله، لا قدّر الله ـ فألهم اللَّهمَّ المسلمين طريق الهدى والرشاد، واجمع شملهم وحبِّب إليهم فريضة الجهاد وألِّف بين قلوبهم، وأصلح ذات ما بينهم ووفِّقهم لحذق جميع العلوم العصرية، والتفوّق فيها على أعدائهم الكَفَرَة الفَجَرَة وكل الدول الاستعمارية، ومُدَّهم اللَّهمَّ بقوة من عندك كي يستطيعوا إحباط جميع المؤامرات، والقضاء على كل النزاعات والنّزعات والمناورات، واحتلال مركز الصدارة بين الأمم والشعوب، والتمكّن من القضاء على دويلة إسرائيل بفضلك وجودك يا علاّم الغيوب.

اللَّهمَّ اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلِّغنا به جنّتك، ومن اليقين ما يهوِّن علينا مصيبات الدنيا، ومتِّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوّتنا ما أحييتنا، واجعله[1] الوارث منّا، واجعل ثأرنا على مَن ظلمنا، وانصرنا على مَن عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلّط علينا بذنوبنا مَن لا يرحمنا[2] يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين.

اللَّهمَّ اجعل حبّك أحبّ الأشياء إلينا، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندنا، واقطع عنّا حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم فأقرر عيوننا من عبادتك، اللَّهمَّ ارزقنا لذّة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك[3] آمين يا ربّ العالمين.

وكان الفراغ من تحرير هذا الكتاب ليلة الخميس الموفّى عشرين من شهر شعبان الأبرك سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية الموافق ليلة الرابع والعشرين من شهر دجنبر متمّ سنة أربع وستين وتسعمائة وألف ميلادية بمدينة سلا على يد الفقير إلى الله سبحانه وتعالى محمد الباقر ابن الشيخ محمد الإدريسي الكتاني الأثري شفاه الرحمٰن من جميع الأمراض آمين بالآمين.

* * *

عمِّر اللَّهمَّ قلوبَنا بأنوار سيِّدنا الرسول، وحَلِّنا يا وهَّاب يا كريم بتيجان القبول، وخذ بأيدي هذه الأمة المحمدية إلى مواطن الهَدي والرَّشاد وبوِّئها المكانة اللائقة بها في مَصاف الدول إلى يوم التَّناد، وصَلِّ اللَّهمَّ وسَلِّم عليه وعلى آله، ووفِّقنا لاتِّباع أقواله وأفعاله.

* * *

(1) أي ما ذكر من الأسماع والأبصار والقوة.
(2) دعاء نبوي أخرجه الترمذي في جامعه وقال حسن، والحاكم في مستدركه وقال على شرط البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهذه الدعوات.
(3) دعاء نبوي أيضًا أخرجه الحكيم الترمذي عن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه.

من كفاح العلماء

في سبيل الاستقلال

وعودة الملك الشرعي إلى عرشه

بمناسبة ليالي السَّمَر التي شهدتها دار الإذاعة والتلفزيون أثناء شهر رمضان المعظّم المنصرم 1398 وتحدّث فيها جمع من زعماء المغرب ورجال الحركة الوطنية والمقاومة عن الجهاد الطويل الذي خاضه الشعر المغربي لانتزاع استقلاله من فرنسا وإسبانيا والدول الموقِّعة على مؤتمر الجزيرة الخضراء ولإرجاع أمير المؤمنين محمد الخامس ـ طيّب الله ثراه ـ إلى عرشه بعد اختطافه من طرف فرنسا ونفيه إلى (كورسيكا) ثم إلى (انتسيرابي) انتقامًا منه على سيره بشعبه في طريق الحرية والاستقلال وتضامنه مع رؤساء الأحزاب الوطنية.

تلك الليالي التي تُنُوسِيَ فيها الحديث عن الكفاح الذي قام به (العلماء) في سبيل التحرير منذ الاحتلال إلى الاستقلال وعودة الملك الشرعي إلى عرشه، وخصوصًا بفاس ومكناس وسلا والرباط والدار البيضاء ومراكش وسوس، وأدّى إلى سجن مئات منهم وتعذيب آخرين، وهو عذاب لم يلقه أحد، حتى استشهد منهم مَن استشهد تحت السِّياط والتعذيب[1].

---

(1) راجع: من ذكريات سجين مكافح في عهد الحماية الفرنسية البغيض بالمغرب. أو أيام (كولميما) للعلاّمة المجاهد السيد محمد إبراهيم الكتاني الحسني وهو من مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر بالرباط سنة 1397 ـ 1977 ونال جائزة المغرب لسنة 1972. وراجع المقال الافتتاحي الذي كتبه العلاّمة الكبير السيد عبد الله كنون الحسني في جريدة الميثاق لسان رابطة علماء المغرب تحت عنوان (عندما يخطىء التوفيق بعض الناس) عدد 279 تاريخ فاتح شوّال 1378 ـ 15 ستنبر 1978.

ويسُرنا أن نثبت هنا نص وثيقة علماء سلا وبعض رجال التعليم بها وقد أعربوا فيها عن وجهات أنظارهم في الأزمة الكبرى التي اجتازها المغرب إذ ذاك وأيّدوا فيها وثيقة علماء فاس وجامعة القرويين، المقدّمة إلى ممثّل فرنسا بالمغرب، وهي وثيقة هامة كانت قنبلة معنوية كبرى تركت دويًا كبيرًا في الداخل والخارج وأجّجت نار الجهاد في نفوس جميع المغاربة، وتحدّثت عنها الصحافة العالمية بإسهاب وأعلنت أنه لا حلّ للأزمة المغربية إلا بأمرين:

1 ـ إرجاع الملك الشرعي إلى عرشه.

2 ـ إعلان الاستقلال.

وقد حظيت بتأييد «العلماء» في كبريات المدن المغربية وتزعّمها بفاس الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن العراقي.

وبسلا والدنا الشيخ محمد الباقر ابن الشيخ محمد الكتاني.

وبالرباط الشيخ محمد المدني بن الحسني.

وفيما يلي نص عريضة علماء سلا:

الحمد لله...

سعادة السفير المحترم الم. فرانسيس لاكوست مقيم الجمهورية الفرنسية بالمغرب.

بعد تقديم ما يليق بسعادتكم من الاعتبار نُعرِب نحن علماء سلا الموقِّعين أسفله عن اختلال أنظمة الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ إبعاد صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس عن عرشه ذلك الإبعاد الذي انعدم بسببه الأمن وهو أكبر ضامِن لسعادة الشعوب ورفاهيتها ولحقت رجال القانون الإسلامي إهانات مختلفة الأنواع حيث سُجن ونُفِيَ عشرات منهم، الأمر الذي لم نسمع له نظيرًا في بلاد العالم الحديث.

وقد استطاع ممثلو الشعب المغربي الحقيقيون أن يُعرِبوا عن أفكارهم بصراحة لا يشوبها غموض ولا التباس إثر توليتكم مُقيمًا عامًا بالمغرب فتقدّموا إليكم بعرائض تدلّ على رغبتهم المُلِحّة في إيجاد حلول مُجدِية لمشاكل المغرب الحالية.

وها نحن اليوم ننضم إليهم فنجدّد لكم ما تضمنّه البلاغ الشهير الذي أذعناه في السنة الفارطة، كما نعلن عن تأييدنا التام لعريضة علماء فاس المقدسة إليكم في الأسبوع الأخير.

وختامًا تقبّلوا احتراماتنا.

سلا في 3 ذي الحجة 1373 ـ 3 غشت 1954.

محمد الباقر ابن الشيخ محمد الكتاني (من شيوخ الطرق الصوفية)

محمد بن الطيب العلوي (عضو بمحكمة الاستئناف الشرعي الأعلى بالقصر الملكي)

عبد الرحمٰن بن محمد الباقر الكتاني (مدرِّس بجامع الشراطين)

حجي زنيبر (عضو مستشار بمجلس الاستئناف الشرعي الإسلامي الأعلى بالقصر الملكي)

محمد بن أبي بكر التطواني (مؤرِّخ وصحافي)

أبو بكر الصبيحي (مُحامٍ وقاضٍ سابقًا بالقصر الملكي)

أبو بكر زنيبر (مفتي سلا)

محمد البارودي (إمام المسجد الأعظم)

محمد المريني (مدير المدرسة المحمدية وواعظ بالمسجد الأعظم)

إبراهيم ابن الشيخ محمد الكتاني (من رجال الطرق الصوفية)

مصطفى النجار (أُستاذ بالمدرسة المحمدية)

الطاهر زنيبر (أُستاذ بمدارس محمد الخامس الثانوية)

عبد الرحمٰن الوزاني (عدل بالمحكمة الشرعية)

أحمد بن عبد النبي (أُستاذ بمدرسة الفتيات الرسمية)

محمد العبدي (أُستاذ بمدرسة حرة)

مصطفى بن بوزيد (إمام وواعظ وخطيب بمسجد سيدي أحمد حجي)

عبد الله القادري (مدير مدرسة حرة)

محمد العزوزي (أستاذ بمدرسة حرة)

محمد المهدي الزهيري الحسني (نسّابة)

محمد بن سالم الحلو (أُستاذ بمدرسة حرة)

عبد الرحمٰن بن عبد النبي (أُستاذ بالمعهد الملكي وخليفة مدير المدرسة الإدارية سابقًا)

حميد بن محمد الديلمي (أُستاذ بمدرسة حرّة)

الطاهر زنيبر (أُستاذ بالمدرسة المحمدية)

محمد بن عبد الله بن سليمان (مدرِّس وواعِظ بجامع الحجّامين)

عبد الله التيال (خرِّيج القرويين)

وقد سلّمها الأستاذ عبد الرحمٰن الكتاني لديوان المقيم العامّ ممثّل فرنسا بالمغرب وبرفقته الأستاذ المخلص السيد إدريس التازي الذي تولى ترجمة كلامه إلى الفرنسية وكان يتوقّد حماسًا في ذلك الظرف الحَرِج ويُبدي نشاطًا ملحوظًا في الميدان الوطني لصالح العرش والمغرب، كما سلّمها لوكالة الأنباء الفرنسية بالرباط مترجمة إلى الفرنسية من طرف الشاب الغيور السيد عبد اللطيف ابن القاضي السلاوي الطالب الجامعي إذ ذاك ومدير شركة «طوطال» البترولية اليوم بالدار البيضاء. وقد تقبل رغبة الأستاذ عبد الرحمٰن الكتاني في القيام بمهمة الترجمة بسرور.

أثاب الله جميع المُكافحين في سبيل تحرير المغرب من نِير الاستعمار ووفّقنا للعمل على تركيز دعائم الإسلام والعروبة في نفوس الجيل الصاعد وقضى على المؤامرات التي يتعرّض لها من طرف أعدائه آمين.

من كفاح العلماء
أيــضًا

بعد طبع وثيقة علماء سلا عثرنا على وثيقة علماء الرباط عند الأخ العلّامة السيد عبد الله الجراري مؤرِّخ الرباط أبقاه الله وجزاه خيرًا. ونثبتها هنا أيضًا مع التعريف بالموقِّعين حسب ترتيبهم في الإمضاء وذكر وظائفهم إذ ذاك كما فعلنا في وثيقة علماء سلا ـ وهذا نصّها:

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله...

إلى المسيو فرانسيس لاكوسط المُقيم العامّ للجمهورية الفرنسية بالمغرب.

نحن علماء مدينة الرباط الآتية أسماؤهم عقب تاريخه نتشرّف بأن نرفع لسعادتكم بكل احترام عريضتنا التي نعلن فيها تضامننا الكامل مع إخواننا علماء فاس في عريضتهم الموجّهة إليكم بتاريخ 24 من ذي القعدة عام 1373 الموافق 25 يوليوز سنة 1954 في شأن القضية المغربية راجين من سعادتكم أن تبلِّغوا حكومة باريس تأييدنا لعريضة علماء فاس التي تهدف لتحقيق السيادة المغربية الكاملة، وذلك:

1 ـ بإرجاع الملك الشرعي للبلاد سيدي محمد الخامس إلى عرشه.

2 ـ رفع حالة الطوارئ.

3 ـ إطلاق جميع المعتقلين السياسيين وإرجاع المنفيين.

4 ـ تمكين المغرب من تقرير مصيره.

وإننا لنعتقد بأن هذه الحلول هي الكفيلة فقط بإرجاع الهدوء والسكينة والطمأنينة إلى القلوب.

وتقبّلوا كامل احترامنا.

الرباط في 2 ذي الحجة 1373 موافق 2 غشت 1954.

محمد بن العياشي (عدل بالمحكمة الشرعية وعميد الطريقة التجانية)

المدني بن الحسني (رئيس مجلس الاستئناف الشرعي الأعلى والحافظ الشهير مفخرة المغرب عمومًا والرباط خصوصًا)

عبد الرحمٰن الشفشاوني (عضو في مجلس الاستئناف الشرعي الأعلى)

أحمد بن جلوان (عضو بالمحكمة العليا)

محمد المهدي العلوي (عضو بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى ومثل أعلى للسلف الصالح)

محمد البرنوصي (نائب وزير الأوقاف وعميد الطريقة الدرقاوية الفتحية)

أحمد البدراوي (قاضي الرباط)

التهامي الغربي (قاضي أحواز الرباط)

الحاج محمد بن عبد الله (عضو مجلس الاستئناف الشرعي الأعلى)

محمد العبدي (عضو مجلس الاستئناف الشرعي الأعلى)

عبد الواحد بن عبد الله (عضو مجلس الاستئناف الشرعي الأعلى وأحد العلماء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم والمعتقلين في سبيل الله)

الحاج أبو بكر بناني (عضو مجلس الاستئناف الشرعي الأعلى)

الحاج أحمد بن الغازي (إمام المسجد الأعظم وأحد المعتقلين في سبيل الله)

الصديق الشدادي (مدير المدرسة الكتانية سابقًا وأستاذ الجيل وعميد الطريقة الكتانية وخطيب مسجد مولاي سليمان وعدل بالمحكمة الشرعية وأحد المعتقلين في سبيل الله)

عبدالله الجراري (كاتب بمندوبية المعارف ومفتش التعليم الحر وتعليم الفتيات بالمغرب وأحد المعتقلين في سبيل الله)

الحاج عمر عاشور (خطيب جلالة الملك وعدل بالمحكمة الشرعية)

محمد أكديرة (عدل)

محمد بن محمد المهدي العلوي (الكاتب بمندوبية المعارف والشاعر المجيد)

محمد الأزرق (كاتب بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى)

العربي بن سودة (كاتب بوزارة الأوقاف وخطيب مسجد مولاي سليمان بالنيابة وشاعر مجيد وإمام مسجد باريز سابقًا)

المكي بن مسعود (كاتب بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى)

محمد العوينة (أُستاذ بمدرسة أبناء الأعيان ومن قدماء رجال التعليم الحر)

محمد الشرقاوي (عدل بنظارة أوقاف الصغرى)

الحاج أحمد الزبدي (عضو المجلس البلدي وكاتب أديب وشاعر مجيد ووطني قديم)

أحمد الركراكي (ناظر الأوقاف)

الحسن العلوي (عدل بالمحكمة الشرعية)

محمد بربيش (كاتب بالاستئناف وأُستاذ بمدرسة حرة)

محمد بن الطيب التهامي الوزاني (عالِم مثالي)

أحمد الحسناوي (كاتب بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى)

محمد الجزولي (عضو بالمحكمة العليا سابقًا وكاتب بليغ وشاعر مجيد وأحد الوطنيين الذين وقّعوا وثيقة الاستقلال)

مصطفى بن مبارك (عالِم مثالي)

محمد بن الغازي (كاتب بالمحكمة الشرعية)

محمد العربي بناني (عالِم مثالي)

محمد بن عبد الله (أُستاذ بمدرسة محمد جسوس)

محمد حكم (عدل)

محمد الزعيمي (عدل)

رضوان التازي (عدل)

مصطفى كديرة (عدل)

عبد الكريم ملين (عدل)

عبد الكريم الوزاني	(عدل)
المختار بن إبراهيم	(قاضي أحواز الرباط سابقًا وعدل)
الصديق العوفير	(عدل بالمرسى)
الطيب بنونة	(عدل)
الحاج أحمد كديرة	(عدل)
عبد المجيد الرغاي	(خطيب مسجد مولاي المكي عدل)
محمد البطاوري	(كاتب بوزارة الأوقاف)
الجيلاني الصندال	(كاتب بالمحكمة العليا)
الطاهر الركراكي	(عضو بوزارة الأوقاف وعدل بالمحكمة الشرعية وكان عضوًا بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى)
زين العابدين بن إبراهيم	(عدل بالمحكمة الشرعية)
الحاج أحمد بركاش	(وزير الأوقاف سابقًا)
الحاج محمد بركاش	(نائب باشا الرباط سابقًا)
محمد مرسيل	(موقت المسجد الأعظم)

وقد نشرتها جريدة «مروك بريس» التي كانت تصدر بالدار البيضاء وكان لها صدًى كبير في جميع الأوساط المغربية والمحافل الأجنبية.

ونرجو من إخواننا العلماء في كُبريات المدن المغربية أن ينشروا عرائضهم أيضًا في هذا الموضوع وغيره ليُطلعوا الجيل الصاعد على صفحات ذهبية من تاريخنا الوطني ويثبتوا مشاركتهم الكبرى في معركة التحرير تلك المشاركة التي كانت تدفع الشعب المغربي إلى الأمام وتُلهِب حماسه إلهابًا وتحبّب إليه فريضة الجهاد في سبيل الله في الدروس المسجدية والخطب الجمعية وحتى في الدُّور إن اقتضى الحال بواسطة تفسير آيات الجهاد وشرح أحاديث القتال الواردة في الموضوع[1].

(1) راجع العرض القيّم الذي نشره في جريدة المحرر أخونا العالِم المكافح السيد عمر الساحلي عضو المجلس الوطني للمقاومة وجيش التحرير وعضو رابطة العلماء ومدير المعهد الديني بتارودانت سابقًا بتاريخ الأحد والاثنين 12 و13 ذي القعدة 1398 ـ 15 و16 أكتوبر 1978 تعلم=

جزى الله خيرًا كل مَن جاهد لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السّفلى وأبقى البلاد الإسلامية متشبّثة بالمُثُل العليا داعية إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

ورَحِمَ السَّلَف وأبقى البركة في الخلف آمين.

= الدور الطلائعي والقيادي الذي قام به العلماء وطلبة التعليم الأصيل والجماهير الشعبية التي كانت ترتاد المساجد وتناصر العلماء في الحركة الفدائية التي كانت السبب المباشر في الاستقلال وعودة الملك الشرعي إلى عرشه. وهو تحت العناوين الآتية:
من تاريخنا الثوري المجيد.
صفحات مُشرِقة رائعة من المقاومة الشعبية بمراكش 53 ـ 56.
عرض عام عن حركة المقاومة وفِرقها ورجالها وعملياتها بمراكش في صورة موضوعية مركّزة.
نحيل على العرض وإن كنّا غير متّفقين مع الكاتب في بعض ما جاء فيه.

فهرس المحتويات